وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد الصديق بن يحي

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي: .....

عنوان المذكرة

بنية المكان في رواية " اختلاط المواسم أو وليمة القتل الكبرى"

"لبشير مفتي"

مذكرة مكملة لنيل متطلبات شهادة الماسترفي اللغة والأدب العربي

تخصص: نقد عربي حديث ومعاصر

إعدادالطالبتين:

خاتمة فعرور

وصال زطيلي

الأستاذ المشرف:

د/مراد بوزكور

أعضاء لجنة المناقشة:

الأستاذ: د. عبد الملك بوتيوتة	رئيسا
الأستاذ:د. مراد بوزكور	مشرفا ومقررا
الأستاذ: د. عبد الحق مجيطنة	مناقشا وممتحنا

السنة الجامعية 2020/2019

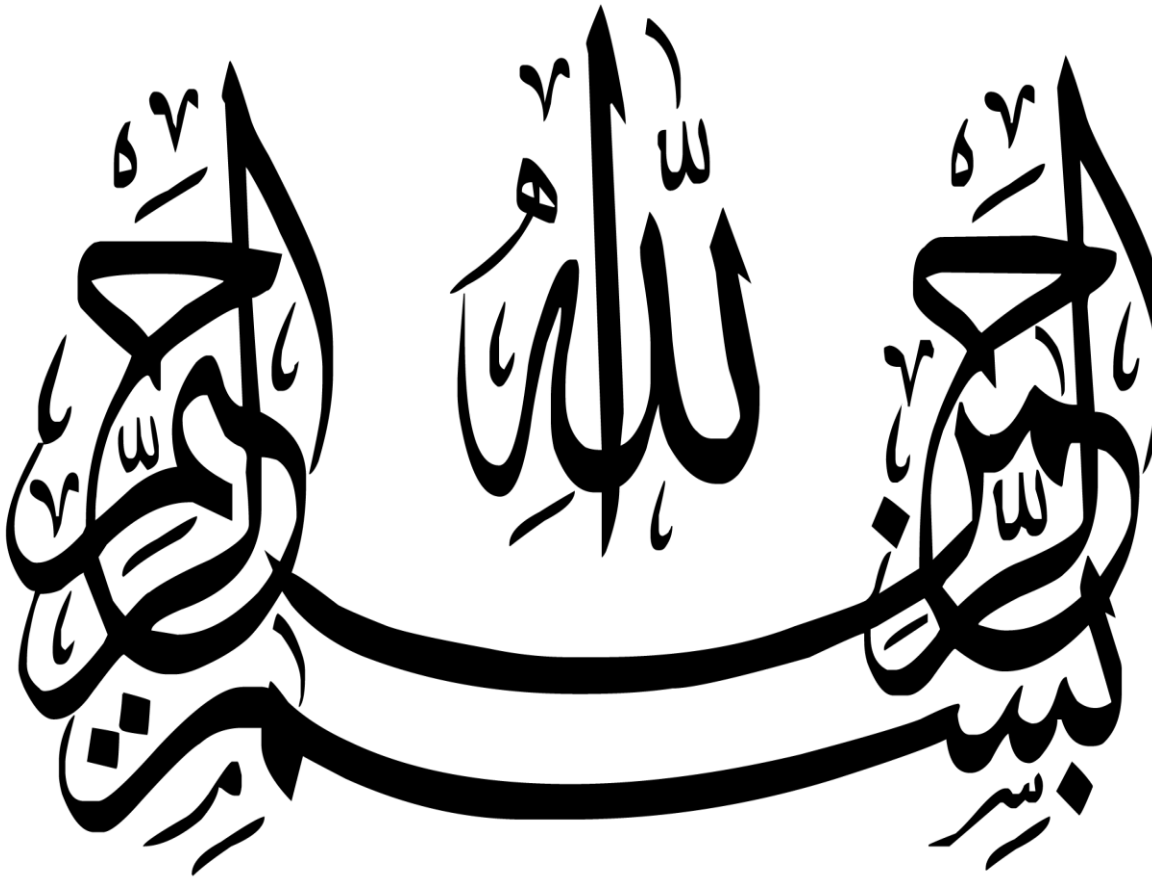
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

أولا نحمد الله عز وجل الذي وفقنا لتتويج عملنا

وبكل معاني الشكر والعرفان نتوجه لكل من أمدنا بالمساعدة سواء من قريب أو من بعيد ووقف إلى جانبنا لإخراج هذا العمل على هذه الصورة، وإن كان لنا أن نخص أحدا بالذكر فلا يسعنا إلا أن نقدم خالص شكرنا وامتناننا للأستاذ القدير الذي أشرف على هذا العمل **"مراد بوزكور"** مثنين على توجهاته الثمينة ، وأخيرا فإن وفق هذا العمل وحوى في طياته على إيجابيات ونجاح يذكر فهو منسوب لجميع من ساعدنا .

مقدمة

مقدمة:

تمثل الرواية ديوان الحياة المعاصرة، فقد خلقت لنفسها مكانة في عالم الأدب المعاصر من جهة، ودخلت معترك الحياة الأدبية لتنقل قضايا الواقع ومشكلات الإنسان بمنظار جديد من جهة أخرى، فهي تأخذ في كل عصر صورة مختلفة ومميزة وتكسب خصائص مغايرة تجعلها غير مطابقة لما كانت عليه سابقا، فأخذت الرواية تمضي سبيل غير السبيل القديم الذي كانت عليه.

ويرتكز البناء الفني المتكامل للرواية على الحدث من وجهة نظر الروائي، من خلال تصويره لمختلف الشخصيات وتفاعلها مع الحدث داخل المكان، الذي تدور فيه بوصف المكان العمود الفقري الذي يربط أجزاء العمل بعضها ببعض، فهو عنصر فاعل ومكون جوهري من مكونات الرواية، حتى قيل عنه "أنه وعاء للشخصيات الروائية ومسرح للأحداث".

ونظرا للأهمية البالغة التي يحظ بها المكان في الرواية الجديدة، جاء بحثنا هذا والموسوم ب" بنية المكان في رواية اختلاط المواسم أو وليمة القتل الكبرى" لـ "بشير مفتي"، هذه الرواية التي امتازت بسلاسة السرد، وتميزت بجمالية البناء الفني للمكان.

وفي الحقيقة كانت الرغبة في اختيار هذا الموضوع نابعة من عدة دوافع وأسباب منها: الدافع الذاتي المتمثل، المتمثلة في إعجابنا بالأسلوب الذي كتبت به الرواية، كذلك رغبتنا في الكشف عن نظام البناء الفني للمكان، ودافع موضوعي يتمثل في أهمية دراسة عنصر "المكان" كعنصر ضامن لانسجام الرواية، فلا يمكن أن نتصور عملا روائيا دون "مكان"، ومحاولة دراسة وتحليل عنصر "المكان" وفق المناهج الحديثة، وباعتبار أن رواية "اختلاط المواسم" لم تحظ بعد بقراءات نقدية، كان هذا من أهم الدوافع التي جعلتنا ننتقي هذه الرواية.

ويطرح بحثنا هذا إشكالية كبرى أثارت اهتمامنا:

ـ كيف كان البناء الفني لعنصر المكان في رواية "اختلاط المواسم"؟

تتفرع منها مجموعة من الأسئلة:

- ما هي أسس هذا البناء؟

ـ ما هي أهم التقنيات التي وظفها الروائي لبناء المكان؟

ـ كيف أثر عنصر المكان في خلق شعرية الرواية؟

للإجابة على هذه الإشكاليات والتساؤلات اعتمد هذا البحث على منهج التحليل البنيوي السردي، القائم على وصف بنية اللغة وتحليلها لدراسة عنصر المكان كبنية داخل المتن الروائي لما له من جماليات ودلالات تحتاج إلى وصف وتحليل واكتشاف ما توارى من أبنية عميقة.

وحسب مقتضيات الدراسة وضعنا خطة منهجية سار عليها البحث واشتمل على مقدمة، مدخل، وفصلين وخاتمة وملحق.

أوجزنا في المدخل مصطلح المكان بين الحيز والفضاء في الدراسات النقدية، أما الفصل الأول فكان معنون "بناء المكان الروائي" الذي تضمن خمسة عناصر، قدمنا في العنصر الأول: قراءة في المفاهيم عرفنا فيه المفهوم اللغوي و الإصطلاحي "للبنية" و "المكان" اعتمادا على معاجم المصطلحات السردية. وفي العنصر الثاني: بينا أهمية المكان في بناء الرواية. أما العنصر الثالث: فتطرقنا إلى أنواع الأمكنة، والتي توزعت عبر ثنائية

(مغلق/مفتوح). أما العنصر الرابع فتطرقنا فيه إلى دلالات المكان. أما العنصر الأخير فعرضنا فيه علاقة المكان بالمكونات السردية وهي: الشخصية والزمن.

وتضمن الفصل الثاني والموسوم ب "تجليات المكان ودلالاته" في رواية "اختلاط المواسم" ثلاث عناصر، العنصر الأول: كان حول الرواية، أما العنصر الثاني: فجاء بعنوان "أنواع الأمكنة ووظائفها"، والعنصر الثالث: بعنوان "المكان وعلاقاته بالمكونات الروائية".

وجاءت الخاتمة حاملة لأهم النتائج المتوصل إليها، وتضمن الملحق تعريفا بالروائي "بشير مفتي".

واعتمدنا في هذا البحث على جملة من المصادر والمراجع تتصدرها رواية "اختلاط المواسم أو وليمة القتل الكبرى" ل "بشير مفتي"، في المقابل استفدنا من المراجع العربية التي حاولت أن توصلنا وتساعدنا في دراسة هذا الموضوع نذكر منها: بنية الشكل الروائي لحسن بحراوي، الرواية والمكان لياسين النصير، إضافة إلى مجموعة من المراجع المترجمة منها: جماليات المكان لغاستون باشلار، وغيرها من المراجع التي أنارت السبيل لإنجاز هذا البحث.

وفي مسارنا البحثي اعترضتنا جملة من الصعوبات إذ أن الرواية الجديدة أخر ما نشره "بشير مفتي" وبالتالي كانت دراستنا من بين الدراسات الأولى التي تناولتها، إضافة إلى كثرت المادة العلمية، الأمر الذي صعب انتقاء الأفضل منها وإدراجه في بحثنا.

ولا يفوتنا في الأخير أن نتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ المشرف: "**بوزكور مراد**" على الجدية في العمل وسعة الصبر والتصحيح والتصويب والتشجيع حتى استقام البحث على قوامه.

مدخل:

1 ــ ماهية الرواية

2 ــ نشأة الرواية الجزائرية

3 ــ مصطلح المكان بين الحيز والفضاء

مدخل:

1ــ ماهية الرواية:

تعد الرواية جنسا أدبيا أو عالما من الخيال، يجسده الروائي من خلال الشخصيات والأحداث والزمـــان والمكان، فالرواية هي المرآة التي تعكس واقع الإنسان المعاصر في تساؤلاته وانشغالاته، غير أنه لا يوجد تعريف جامع للرواية كنوع أدبي ، ومرد ذلك إلى أنها من الحقول المعرفية غير مكتملة الأفعال، حيث أن كل باحـــث يدلي بدلوه فيها، يقول "عبد الملك مرتاض": « تتخد الرواية لنفسها ألف وجه، وترتدي في هيئتها ألف رداء وتتشكل أمام القارىء تحت ألف شكل ، مما يُعسر تعريفها تعريفا جامعا مانعا، وذلك لأننا نلقى الرواية تشترك مع الأجناس الأخرى بمقدار ما تتميز عنها بخصائصها الحميمية وأشكالها الصميمية » [1].

فالرواية تشترك مع الأجناس الأدبية الأخرى؛ فهي تشترك مع الملحمة لأنها تعكس مواقـــف الإنســـان وتجسد ما في العالم، كما تشترك مع الشعر لأن الرواية شديد الحرص على أن تكون لغة كتابتها مثقلة بالصور الشعرية الشفافة.

تسعى الرواية إلى لغة الشعر الذي يجسد الجمال الفني الرفيع والخيال الراقي البديع، بالإضـــافة إلى أن في اللغة الشعرية جدة الإبداع ولذة الإبتكار، كما تشترك أيضا مع المسرحية من حيث الشخصيات والزمن والحيز والحدث، فلا مسرحية ولا رواية إلا بشيء من ذلك.

---

[1] عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، المجلس الوطني للثقافة والفنـــون والآداب، الكويـــت، دط، 1998م، ص11

وعلى الرغم من ارتباط الرواية بالأجناس الأدبية الأخرى إلا أنها تتميز عنها بمجموعة من الخصائص ومنها كون الرواية « متفردة بذاتها؛ فلأنها ليست فعلا وحقا أيًّا من هذه الأجناس الأدبية مجتمعة أو منجمة، فهي طويلة الحجم، ولكن دون طول الملحمة غالبا » [1].

بالإضافة إلى هذا نجد الرواية « غنية بالعمل اللغوي ولكن يمكن بهذه اللغة أن تكون وسطا بين اللغة الشعرية التي هي لغة الملحمة، واللغة السوقية التي هي لغة المسرحية المعاصرة » [2]. والرواية أيضا: « تعول على التنوع والكثرة في الشخصيات، فتقترب من الملحمة دون أن تكونها بالفعل، حيث الشخصيات في الملحمة أبطال وفي الرواية كائنات عادية » [3].

ومن مميزات الرواية أيضا أنها تتميز « بالتعامل اللطيف مع الزمان والحيز والحدث، فهي إذن تختلف عن كل الأجناس الأدبية الأخرى ولكن دون أن تبتعد كل البعد، حيث تظل مضطربة في فلكها وصارمة في مضطرباتها» [4].

نجد أن الرواية تتخذ في كل عصر صورة مميزة و تعكس خصائص تجعلها غير مطابقة لخصائص الرواية في عصر سابق كون الرواية « هي مايدرس النقاد في عصر من العصور على أنه رواية » [5].

أما "محمد لخطيب": « إن فرصة الكتابة نثرا يتيح مجالا أوسع للتغيير عن الحياة وواقع المجتمعات لأنها تعمل على تقريب المتخيل من الواقع، كما تمنح للراوي حرية أكبر لأنه يبتعد عن قيود الشكل » [6].

---

[1] المرجع السابق، ص13

[2] المرجع نفسه، ص ن

[3] المرجع نفسه، ص ن

[4] المرجع نفسه، ص ن

[5] حميد لحميداني: الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي، دار الثقافة، المغرب، ط1، 1985م، ص37

[6] محمد الخطيب: الرواية والواقع، دار الحداثة، بيروت، ط1، 1981م، ص107

نستخلص من خلال هذا القول أن الرواية أبسط وأسهل للتعبير عن الواقع المعاش كون لغتها غير مقيـــدة على عكس لغة الشعر.

ويعرفها "علال سنقوقة" قائلا: « إذا كانت الرواية نصا فإن طبيعة هذا النص الأسلوبية إنـــه يـــأتي في شكل حكاية يمكن أن تروى، ومن هنا تتكون الحكاية بين مجموعة من الأحداث التي تقع أو التي يقـــوم بهـــا الأشخاص تربط فيما بينهم علاقات وتحفزهم حوافز تدفعهم إلى فعل ما يفعلون »[1].

فالرواية نص تمتلك أسلوبا حكائيا باعتبار الحكاية مجموعة من الأحداث تكون قد وقعت، أوقـــام بهـــا أشخاص لديهم حافز لفعل ذلك.

وبهذا فالرواية هي سرد لمجموعة من الأحداث، ونقل لحركة الشخصيات إذ لا يمكن بـــدونها الولـــوج إلى عالم الرواية والغوص في مكنوناتها، فهي عالم شديد التعقيد متداخل الأصول، وشكل أدبي جميل إذ تعتباللغـــة مادته، تعتمد على الخيال الذي يجعل منها لغة متنامية ومتطورة باستمرار.

2ـــ نشأة الرواية الجزائرية:

تعتبر الرواية الجزائرية جنسا أدبيا حديث النشأة مقارنة بالأشكال الأدبية الأخرى، حيث شهدت بدايـــة ضعيفة، وهذا راجع إلى الظروف السياسية والإجتماعية والتاريخية التي خلفها المستعمر، مما أثـــر علـــى الأدب الجزائري بصفة عامة والرواية بصفة خاصة، فالظروف التي عاشتها الجزائر أنتجت لنا أعمالا روائية تتماشى مع هذه الوقائع. الرواية في الجزائر مرت بعدة مراحل وتطورات منذ نشأتها بداية بمرحلة ما قبل الاستقلال مـــرورا بمرحلة الاستقلال.

[1] علال سنقوقة: المتخيل والسلطة، منشورات الإختلاف، الجزائر،ط1، 2000م، ص20

أ ــ ما قبل الاستقلال:

تحتل الرواية الجزائرية مكانة بارزة في الساحة الروائية على الرغم من ظهورها المتأخر الذي إقترن بمختلف الأوضاع المزرية للشعب الجزائري، ضف إلى ذلك تعثرها بعدة أسباب كالجانب التاريخي...، فالسياسة الاستعمارية المنتهجة هدفا إلى طمس كل مقومات الشعب الجزائري، كما عملت على اضطهاد المثقفين من أدباء ومفكرين ≪ فالرواية الجزائرية حديثة النشأة غير مفصولة إذن عن حداثة هذه النشأة في الوطن العربي كله مشرقه ومغربه ≫ [1].

فكانت المحاولة الأولى في هذا المجال "محمد بن إبراهيم" المدعو الأمير مصطفى وأول كتاب له "حكاية في الحب والاشتياق" 1849م وقد حققها "أبو القاسم سعد الله" ونشرها عام 1977م. و لم ترقى إلى مستوى الرواية والسبب في ذلك يعود إلى ضعفها اللغوي وعدم وجودها على الساحة الأدبية، ثم تليها محاولات أخرى من بينها: ماكتبه "أحمد رضا حوحو" في "غادة أم القرى" التي ظهرت في الأربعينيات وتزامنت مع أحداث 8ماي 1945م، حيث كانت تحكي عن معاناة المرأة الحجازية وضغوط القهر والحرمان ذي الوجوه المختلفة أما المحاولة التي جاءت بعدها فكانت من تأليف "عبد المجيد الشافعي بعنوان " الطالب المنكوب" سنة 1951م التي تصور حياة طالب يسقط في حب فتاة كاد يؤدي به إلى الإغماء...[2]

الرواية في هذه المرحلة لا تعكس اتجاهات فنية واضحة بل ظلت مجرد محاولات معزولة، لم ترقى إلى المستوى المنشود التي كانت في شكل طابع قصصي، ورغم البداية الضعيفة لهذه الأعمال إلا أنها تبقى اللبنات الأولى التي مهدت للخطاب الروائي الجزائري.

---

[1] عمر بن قينة: في الأدب الجزائري الحديث (تاريخا، وأنواعا، وقضايا، وأعلام)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 2009م/1430هـ، ص195

[2] المرجع نفسه، ص196ــ197

ب ــ مابعد الاستقلال:

بعد الاستقلال جاءت فترة السبعينيات لتحل الإبهام والخسائر التي طرأت على المستوى الثقافي حيث جسدت روايات هذه المرحلة آلام الشعب وعبرت عن آماله وانفتحت على أجناس أدبية أخرى.

فبداية السبعينات كانت الولادة الثانية والأكثر عمقا للرواية الجزائرية، وذلك من خلال أعمال "عبد الحميد بن هدوقة" "ريح الجنوب"، و"الزلزال"، "اللاز" ل"الطاهر وطار". وبظهور هذه الأعمال أصبح بإمكاننا الحديث عن تجربة روائية جزائرية جديدة، لأن العقد الذي تلا الاستقلال مكن الجزائريين من الانفتاح الحر على لغة روائية جديدة،وجعلهم يلجئون إلى الكتابة الروائية للتعبير عن واقعهم بكل تفاصيله وتعقيداته سواء كان ذلك بالرجوع إلى فترة الثورة المسلحة « أو بالغوص في الحياة المعيشية الجديدة التي تجلت ملامحها من خلال التغيرات الجدية التي طرأت على الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية» [1].

عرفت الرواية الجزائرية في هذه الفترة نضجا وتطورا في الأسلوب، لأن الكاتب متحررا لا يردع إلى الواقع السياسي الاستعماري، فالكتابة تعد فن لا يتطور إلا في ظل الحرية، كما شهدت هذه الفترة تغيرات جذرية واقتصادية واجتماعية « فقد كانت بنظرات العامل في مصنعه، والفلاح في حقله، والشبيبة الثورية في مراكزها، مكاسب ديمقراطية تحققت فكانت بمثابة الثمرة والنتيجة الحتمية للصراعات التي تقودها القوى الحية في البلاد وعلى كافة المستويات والأصعدة » [2]

[1] ينظر: إدريس بودية: الرؤيا والبنية في روايات الطاهر وطار، سحب الطابعة الشعبية للجيش، الجزائر، دط، 2007م/ 1428هـ ص40

[2] وسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، 1986م/1407هـ، ص99

لعبت الرواية الجزائرية في فترة السبعينات دورا مهما في نقل أفكار المجتمع بأكمله، إذ حملت بين أضلاعهارسالة دموية واحتضنت المأساة بأقلام ثائرة على الوضع، وباكية لما توصلت إليه البلاد من خسائر مادية وبشرية.

في حين شكلت مرحلة الثمانينيات استمرارية روائية لمرحلة السبعينات، سواءا على المستوى الفني وطبيعة الرؤيا للعالم التي جسدها أصحابها، وقد كانت التجربة الروائية للكتاب الجزائريين في هذه الفترة نتيجة للتحولات التي حدثت أثناء الاستقلال.

ظهر في هذه الفترة جيل من الكتاب نحو منحى تجديديا حديثا في النمط الأدبي الجزائري، ومن الأعمال الروائية في هذه المرحلة نذكر: "واسيني الأعرج" بروايته "وقع الأحذية الخشنة" سنة 1981م، ورواية "زمن النمرود" ل"الحبيب السايح" 1985م ....

فالأعمال الروائية في هذه الفترة ترمي إلى التجديد والمألوف السردي، نشأة الرواية الجزائرية كانت متصلة بالواقع السياسي المضطرب.

وتأتي فترة التسعينيات التي كانت حافلة بالروايات وتحاول أن تأسس لنص روائي يبحث عن تمييز إبداعي، وقد تناول الروائيين الموضوعات الرئيسية التي تدور حول (العنف، الحرب، الفتنة) أوما يطلق عليها بالعشرية السوداء، حيث تقول الباحثة "آمنة بلعلى" « يتقاطع روائي التسعينات بالروائيين الكبار، ضمن الأفق التاريخي الثوري، على الرغم من إدعاء البعض خروجهم منهم، بل رأينا هذا الأفق يتخذ مسلكا لتنشيط الفاعلية السردية حتى وإن أدمجوا أنفسهم ضمن فلسفة الإختلاف »[1]

[1] آمنة بلعلى: االمتخيل في الرواية الجزائرية (من المتماثل إلى المختلف)، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، دط، 2006م/1427هـ، ص87

إن الرواية الجزائرية التسعينية المعاصرة لم تترك شيئا إلا وأحصته ، فقد تناولت وأشارت إلى عنف السلطة الحاكمة ، مثل مانجده في روايات ﴿ "دم الغزال" ل"مرزاق بقطاش" و"كرافالخطايا" ل"عبد الله عيسى لحيلح" و"إمرأة بلا ملامح" ل"كمال بركاني" ... ﴾ [1].

وغيرهم من الروايات الأخرى التي تطرقت إلى وصف السلطة وأعمالها المشينة.

ظلت الرواية الجزائرية منذ بدايتها الصعبة تسعى في إصرار كبير على أن تكون مرآة المجتمع، وسلاحه الإبداعي في مواجهة كل الظروف، كما تعد من أقدر الأجناس الأدبية تعبيرا عن الواقع وأكثرها استعابا لمختلف قضايا الوقت الراهن محاولة بذلك معالجة مشاكله الاجتماعية، الاقتصادية والسياسية.

3ـ مصطلح المكان بين الفضاء والحيز في الدراسات النقدية:

تعددت مفاهيم مصطلح "المكان" في الممارسة النقدية العربية تبعا لمنظورات استخدامه، من (المكان) إلى (الفضاء) إضافة إلى مصطلح (الحيز).

وحول هذا التداخل المفاهيمي لمصطلح "المكان"، يذهب "عبد الملك مرتاض" إلى توظيف مصطلح (الحيز) مقابلا لمصطلح (الفضاء) حيث يشير إلى أنه شائع في الدراسات الأدبية العربية فيقول: ﴿ لا نعتقد أننا نصادفه في الكتابات العربيةالتي كتبت منذ ثلاثين عاما ﴾ [2].

وهذا ما تذهب إليه الناقدة "سيزا قاسم" في أغلب دراساتها النقدية، بحيث ترى أن المكان ﴿ يتصق مع لغة النقد العربي ﴾ [3].

---

[1] شريف حبيلة: الرواية والعنف، جدار الكتاب العالمي للنشر والتوزيع ، ط1، 2010م، ص165

[2] عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية، ص 122

[3] سيزا قاسم: بناء الرواية (دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط1، 1984م، ص106

وتذهب الناقدة إلى أن النقاد الغربيين وظفوا قبل دلوع مصطلح "فضاء Espace" بمفهومه الحديث مصطلحات متعددة تعبر عن المستويات المختلفة للمكان « بحيث نجد في الانجليزية الصيغ الآتية (Space ,Place ,lacation)ونجد في اللغة الفرنسية الصيغ(Espace ,Place , lieu) والمرادفات العربية لهذه المصطلحات هي: المكان، الفراغ، الموقع » [1].

وفي حالة ما إذاكانت الناقدة قد تحرت الترتيب عند ترجمتها هذه المفاهيم المذكورة، فإنها تقابل بين "Esapce"، والمكان من جهة ومن جهة أخرى تقابل بين "Place" والفراغ، والأصح هو أن مصطلح "Espace" يرادف الفضاء أو الفراغ، في حين أن المكان أكثر تحديدا من الفضاء الذي يفيد اللاتحديد وشدة الاتساع.

ولعل هذا الفرق بين المكان والفضاء هو ما خلص إليه الناقد "محمد بنيس" فيذهب إلى أن « المكان منفصل عن الفضاء وأنه سبب وضع الفضاء أي أن الفضاء بحاجة على الدوام للمكان » [2]، ويُورد مقولة ل"هيدغر" يدعم بها رأيه مفادها أن « الجسر مكان وهو كشيء يصنع فضاء تندرج فيه السماء والأرض»[3].

وهذا معناه أن أساس الفضاء هو المكان، فلا وجود لفضاء دون مكان.

إلا أن الناقد "حسن نجمي" يرى ان مفهوم "الفضاء" « أكثر انفلاتا وشساعة من مثل تلك التحديدات التي وصفها النقاد الغربيون، ويتساءل عن فضاءات أخرى كفضاء العلم، الموت، الذاكرة، الهوية...» [4].

---

[1] المرجع سابق، ص105

[2] محمد بنيس: الشعر العربي الحديث بنياته وإبدالاته، ج3، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1990م، ص113

[3] المرجع نفسه، ص ن

[4] حسن نجمي: شعرية الفضاء (المتخيل والهوية في الرواية العربية)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2000م، ص44

أي أن الفضاء في تصوره عبارة عن مجموعة من الأفكار والرؤى والموضوعات.

وفي موضع آخر نجده يحاول أن يقلل من أهمية المكان بالنسبة للفضاء، فيقول:« ربما كان المكان أو العلائق بين أمكنة معينة، أحد أسس هذه الفضائية التجريدية لكنها ليست هي كل شيء عند تحديد الفضاء...» [1].

فالمكان بالرغم من أهميته إلا أنه يبقى عنصرا ثانويا في تشكيل الفضاء .

ويخلص "حسن نجمي" في نهاية المطاف إلى أن الفضاء الروائي « هو المادة الجوهرية للكتابة الروائية ولكل كتابة أدبية فقط تحتاج هذه المادة كي تدرك إلى توجه مختلف، وإلى منظور متفهم» [2].

وهذا التصور يوسع من دائرة الفضاء الروائي ليشمل فلسفة وجود الإنسان.

ونحن نتناول "المكان" و"إشكالية المصطلح" نشير إلى ارتباط المكان بالفضاء في بعض الدراسات العربية وفي مقدمتها دراسة الناقد "حسن بحراوي" الموسومة "بنية الشكل الروائي" التي جمع فيها عددا هائلا من التعريفات النقدية الغربية لمفهوم الفضاء الروائي حيث يذهب إلى أن « الفضاء ليس في العمق سوى مجموعة من العلاقات الموجودة بين الأماكن والوسط والديكور الذي تجري فيه الأحداث والشخصيات التي يستلزمها الحدث، أي الشخص الذي يحكي القصة والشخصيات المشاركة فيها » [3]. فالناقد في محطات عديدة يستعمل الفضاء المكاني بدل الفضاء الروائي ولعل مرد هذا التردد بين مصطلحي "المكان" و"الفضاء" عند الناقد كما عند غيره من الباحثين العرب في هذا المجال.

---

[1] المرجع السابق، ص45

[2] المرجع نفسه، ص59

[3] حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي(الفضاء، الزمن، الشخصية) المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2009م/1430هـ ص 31

الفصل الأول: بناء المكان الروائي

المبحث الأول: قراءة في المفاهيم

المبحث الثاني: أهمية وأنواع المكان

المبحث الأول: قراءة في المفاهيم

المطلب الأول : مفهوم البنية

أ _لغة :

وردت لفظة "البنية" بكثرة في القرآن الكريم وتشتق من الفعل الثلاثي "بنى" الذي يدل على معنى التشييد والكيفية التي يكون عليها البناء ، لقوله تعالى:« **وَالسَّمَاءُ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍي وَإِنَّا لَمُوسعُون** » [1] وقوله : «**أَأَنْتُمْ أَشَدُ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا** » [2] وقال أيضا : « **إِنَّ اللَّه يُحِبُ الذِّينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ** » [3] .

إن مصطلح "البنية" غني في محتوياته ومتداول في مختلف العلوم ، وقد وردت في بعض المصادر اللغوية العربية القديمة لفظة "البنية" بمعاني مختلفة ، فجاءت في "لسان العرب" : « البُنَى : نقيض الهدم ، بَنَى البِنَاء وبناءٌ ويعني مقصور ، بنيانًا وبنية ، ابتناه وبناه ... والجمع أبنية وأبنيات ، البنية : الهيئة التي بنى عليها مثل المشية ... والبنيات ...الحائط » [4].

الأشياء تدرك بأضدادها ، هكذا ورد مفهوم البنية في "لسان العرب" فالبنية نقيض الهدم ، ونعني بها هيئة الشيء ، أي الشكل الخارجي له .

---

[1] سورة الذاريات : الآية 47

[2] سورة النازعات : الآية 27

[3] سورة الصف : الآية 04

[4] جمال الدين الفضل ابن منظور : لسان العرب، مادة (بنى)، مج 2 ، دار صادر، بيروت لبنان، دط ، 1863م، ص160ـــ161

أما في معجم "الوسيط" فقد جاء مفهوم "البنية" كالتالي : « بَنَى العامل الشيء وبناءً وبنيانًا ، أقام جداره ، ويقال بَنَى السفينة : بَنَى مجْدَه ، بَنَى الرجل ، بَنَى الطعام جسمه بَنَى على كلامه ، احتداه واعتمد عليه : فالبِنْيَة مَا بَنَى ، والبنية ما بُنِّى ، ج بَنَى والبِنْيَة : هيئة البناء ومنه بنية الكلمة صنعتُها » [1] .

فمفهوم البنية في معجم "الوسيط" مرتبط بالبناء وأصلها يعود إلى الفعل "بَنَى". وفعل البناء مختلف الأشكال سواءً بناء جدار أو سفينة أو بناء الجسم وحتى بناء الكلمة .

في حين ورد مفهوم "البنية" في كتاب "العين" مرتبطا بالكعبة أي هيئة الستر أثناء الطواف: « بَنَى البَنَاءُ، يَبنِي بُنيَانًا وبِناء ...والبنية: الكعبة...والمِبْنَاة هيئة الستر أثناء الطواف يُلقى على مقدم الطواف...» [2].

ولعل ظهور مصطلح "البنية" (Structure) كان نتيجة حتمية لتظافر جملة من المفاهيم الموزعة على حقول معرفية مختلفة، فكلمة بنية : « تشتق من اللغات الأوروبية من الأصل اللاتيني الذي يعني البناء أو الطريقة التي يقام بها مبنى ما، ثم امتد مفهوم الكلمة ليشمل الأجزاء في مبنى ما من وجهة النظر الفنية المعمارية» [3] .

ما يفهم من هذا الكلام أن مفهوم "البنية" عند الغرب لا يبتعد عن أصله في الإستخدام المعجمي العربي القديم، حيث نجد له حضورا في هذا الموروث.

من هنا فإن كلمة "البنية" وعلى الرغم من تعدد مشتقاتها ومدلولاتها سواءا كانت حسية أو معنوية لا تكاد تخرج عن نطاق هياكل الأشياء، وشكلها الخارجي .

---

[1] إبراهيم مصطفى وآخرون : معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مصر، ط4، 2005م، ص72

[2] الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، دار السلام وآخرون، البناء، ط1، 2004م، ص68

[3] صلاح فضل: النظرية البنائية في النقد الأدبي، مكتبة الأنجلوالمصرية، ط2، دس، ص176

ب _ اصطلاحا :

للبنية في مفهومها الاصطلاحي دلالات واسعة ومتشعبة وهذا راجع أساسا إلى مظهرها وتجليها في أشكال متنوعة لا تسمح بتقديم قاسم مشترك بينها، فإذا عدنا إلى "قاموس السرديات"ل "جيرالد برنس" الذي يرى أن البنية ﴿ شبكة من العلاقات الخاصة بين المكونات العديدة للكل، وبين كل مكون على حده الكل، فإذا عرفنا الحكي بوصفه يتألف من قصة وخطاب مثلا كأبنية هي العلاقات بين (القصة والخطاب) و(القصة والسرد) وأيضا (الخطاب والسرد) ﴾ [1].

وهذا يدل على أن البنية هي تلك العلاقات التي تحكم المكونات فيما بينها وعن طريقها يتآلف الحكي، فإذا كان الحكي مكونا من قصة وخطاب، فالبنية هي تلك العلاقات التي تحكم القصة والخطاب.

ولعل من بين المفاهيم الأساسية التي انبثق منها مفهوم "البنية"، "المجموعة" حيث أن البنية هي: ﴿ ترجمة بمجموعة من العلاقات الموجودة بين العناصر المختلفة وعمليات أولية تتميز فيما بينها بالتنظيم والتواصل بين عناصرها المختلفة. ﴾ [2].

فظهور مصطلح البنية كان نتيجة حتمية لتظافر جملة من المفاهيم الموزعة على حقول معرفية مختلفة، إذ ثمة دلالات واسعة لها، فعلى سبيل المثال يرتبط بمفهوم "الشكل".

كما وصفت البنية بأنها نظاما، أو هي ﴿ نسق من العلاقات الباطنة المدركة وفقا لمبدأ الأولوية المطلقة للكل على الأجزاء له قوانين الخاصة المحايثة. ﴾ [3] إضافة إلى أنها تتصف: ﴿ بالوحدة الداخلية أو الإنتظام

---

[1] جرالد برنس: قاموس السرديات، تر: السيد إمام، بيروت، نشر بالقاهرة، مصر، ط1، 2003م، ص191

[2] صلاح فضل: النظرية البنائية، ص121

[3] أديت كروزيل: عصر البنيوية، تر: جابر عصفور، دار سعاد الصباح، ط1، 1993م، ص413

الذاتي على نحو يُفضي فيه أي تغير من العلاقات إلى تغير النسق نفسه وعلى نحو ينطوي معه المجمـــوع الكلـــي للعلاقات، على دلالة يغدو معها النسق دال على المعنى.» [1]ومنه يمكن القول أن البنية نســـق ونظـــام مـــن العلاقات، وهذا النظام له قوانينه الخاصة به.

وللبنية أيضا سمات ثلاث تتسم بها وهي : الكلية والشمولية، التحول والتنظيم الذاتي.

وهكذا نجد أن مصطلح البنية لا يخرج عن كونه علاقة بين مجموعة عناصر أو عبارة عن نظام أو نســـق، فهو لا يهتم بأي من الخصائص الأخرى بشيء: « فالبناء لا يبحث محتوى الشيء وخصائص هذا المحتوى، بل يبحث في علاقة الأجزاء أو العناصر بعضها ببعض، بقصد الكشف عن وحدة العمل الكلية...» [2]. ومنه فإن مفهوم "البنية" يرتكز على النظام، وهذا يدل على أن البنية هي تلك العلاقات التي يتآلف منها الحكي.

على اعتبار أن البنية ماهي إلا مجموعة من العلاقات بين علناصر مختلفة، وتتميز هذه الأخـــيرة بـــالتنظيم والتواصل.

فظهور مصطلح "البنية" كان نتيجة حتمية لتظافر جملة من المفاهيم الموزعة على حقول معرفية مختلفة، إذ ثمة دلالات واسعة لهذا المصطلح. فعلى سبيل المثال يرتبط بمفهوم الشكل، الذي هو عبارة عن تنظيم منطقي يتم إدراكه عن طريق العقل.

---

[1] أديت كروزيل: عصر البنيوية، ص 413

[2] عبد العزيز حمودة: المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك، أحمد مشاري العدواني، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويـــت، دط، 1978م، ص177

المطلب الثاني: مفهوم المكان

أ_ لغة :

لهذا المصطلح مفاهيم متعددة ومتشابهة ، وقد جاء في "لسان العرب" ل"ابن منظـــور" أن « المكـــان الموضوع ، والجمع ، أمكنة كقدال وأقدلة، أماكن جمع الجمع، قال ثعلبٌ : يَبْطُل أن يكون مكانٌ فِعَلًـــا لأن العرب تقول كُنْ مكانَكَ وقمْ مكانكَ ، واقعد مقعدَكَ ، فقد دلَّ هذا على أنه مصدر مـــن كـــان أو موضـــع منه» [1].

كما جاء في معجم "الوسيط": « المكان: المنزلة، يقال هو رفيع المكان والموضع جمع أمكنة، والمكانـــةُ: المكان بمعانيه السالفين » [2].

فالمكان في معجم "الوسيط" حمل مجموعة من الدلالات منها المنزلة والموضع في حين لوعُدنا إلى مُؤلـــف "بطرس البستاني" "محيط المحيط" لوجدناه يتفق مع معجم "الوسيط"، إذ قال المكان: « الموضع أو هو مَفْعَـــلُ من الكون، جمع أمكنة، وأماكنُ وأمكنَ قليلا، ويقال: هذا مكان هذا أي بَدَلَهُ، وكان من العلم والعقل بمكان أي: رتبة ومنزلة» [3].

---

[1] جمال الدين الفضل ابن منظور: لسان العرب، مادة مكن، ص959

[2] إبراهيم مصطفى وآخرون: معجم الوسيط، ص806

[3] بطرس البستاني: محيط المحيط، مكتبة لبنان، دط، 1987م، ص859

ويذهب "الخليل ابن أحمد الفراهيدي" إلى أن: «المكان في أصل تقدير الفعل مَفْعَلٌ لأنه موضعٌ للكينونة غير أنه لَمَّا كثُر أجروهُ في التصريف مجرى الفِعال، فقالوا: مكنَّا له، وقد تمكن، وليس بأعجب من تمسكن من المسكين والدليل على أن المكان مَفْعَلٌ، أن العرب لا تقول هو مَنَّى مكان كذا وكذا إلا بالنصب »[1].

وفي التنزيل العزيز وردت لفظة "مكان" بمعنى المستقر، منها قوله تعالى: «**واذْكُرْ فِي كِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًا**»[2]. أي اتخذت مكانا نحو الشرق، وقال تعالى أيضا: «**وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا**»[3]. ووردت بمعنى المنزلة الرفيعة في آيات عديدة منها قوله تعالى: «**وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَكَانٍ قَرِيبٍ**»[4].

فإذا قمنا بما يشبه الموازنة بين النصوص السابقة، فإننا نلمس على العموم معان متقاربة تمثلت في الموضوع، المنزلة، الثبات، المقام، المَحَل، الحيز، التواجد في مكان ما.

ب_ اصطلاحا:

إن تحديد المصطلح وتبيين معانيه الدلالية يجعل من المشتغل عليه أن يتحرك في فلكه الإبداعي دون عناء، حيث يتمكن من رصد مجمل تحديداته لمفهومه وتجلياته ووظائفه المختلفة، يعرف على أنه أحد أهم «المحاور الروائية المؤثرة في إبراز فكرة الكاتب وتحليل شخصياته، من الناحية النفسية، لأن إدراك الإنسان للمكان مباشر وحسي»[5].

---

[1] الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، ص161

[2] سورة مريم: الآية16

[3] سورة مريم: الآية57

[4] سورة ق: الآية 41

[5] محمد عزام: شعرية الخطاب السردي، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط، 2005م، ص181

يتضح بذلك إمكانية ربط المكان الذي يوضح مجريات الأحداث التي تقع للشخصيات بإحساس الإنسان بكل ما يدور بتلك الأحداث فقد تعدد مفهوم المصطلح المكاني باختلاف الدارسين فأطلق عليه مسميات منها: الحيز المكاني، المكان، الفضاء... فراح كل باحث يدافع عن تسمية مع العلم أن مصطلح الفضاء أوسع وأشمل من المكان.

وتعتبر الدراسة التي قدمها "غاستون باشلار" (Gaston Bachelard) في كتابه "جماليات المكان" من بين أهم البؤر المقدمة في هذا المجال حيث يعرف المكان بقوله: « المكان الملموس، بواسطة الخيال لن يظل مكانا محايدا خاضعا لقياسات وتقسيم مناخ الأراضي وقد عيش فيه بشكل وضعي، بكل ما للخيال من تحيّز، فهو شكل خاص في الغالب مركز اجتداب دائم وذلك لأنه يركز الوجود في حدود تحميه» [1].

من خلال هذا القول يتضح أن المكان الممزوج بالخيال له صفاته وقواعده المميزة له، ولايمكن أن يخضع بأي شكل من الأشكال لمناخ المكان الواقعي.

كما أكد "رولان برونوف" (Rolan Beurneuv) في سياق حديثه عما يمكن أن يحمله المكان في البنية السردية من أهمية بالغة ذلك أن:« المكان بإمكانه أن يصبح محددا أساسا للمادة الحكائية ولتلاحق الأحداث، أي أنه يتحول في النهاية إلى مكون روائي جوهري...» [2]، فالمكان محور جوهري لصياغة الحدث الروائي.

---

[1] غاستون باشلار: جماليات المكان، تر: غالب هلس، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، ص60

[2] إبراهيم عباس: تقنيات البنية السردية في الرواية المغاربية، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار،الجزائر، دط،دس، ص68

أما "حسن بحراوي" فقد ذكر في حديثه حول المكان والذي يطلق عليه أحيانا مصطلح "الفضاء"، حيث يقول: « إن الفضاء الروائي مثل المكونات الأخرى للسرد لا يوجد إلا من خلال اللّغة، فهو فضاء لفظي Space Verbal بامتياز» [1].

وبالتالي فالمكان الواقعي يختلف عن المكان المتخيل الذي يوجد عن طريق اللغة، ولا يخضع لها المكان نفسه في الواقع. وبذلك يكون: « المكان الروائي هو المكان اللفظي المتخيل الذي صنعته اللغة انصياعا لأغراض تخيل الروائي وحاجته» [2].

وبهذا نجد أن اللغة هي التي كونت منطلق وطريق للمكان الروائي. « فالفضاء في الرواية ينشأ من خلال وجهات نظر متعددة لأنه يعاش على عدة مستويات من طرف الراوي بوصفه كائنا مشخصا وتخيليا أساسيا، ومن خلال اللغة التي يستعملها فكل لغة لها صفات خاصة لتحديد المكان » [3].

أي أن الفضاء الروائي يساعد في تعدد الأحداث وذلك راجع إلى تعدد الأمكنة وتنوعها، أما تعدد مستوياته مرتبط بالروائي وسعة خياله وقدرة لغته على التحكم في ذلك الخيال.

وفي مداخلة مقدمة لندوة الرواية العربية لرابطة أدباء الجنوب، يميز الأستاذ "عزالدين النازي" بين الفضاء والمكان ليعطي الشمولية للفضاء على حساب المكان، وبهذا الصدد يقول: « إن فضاء الرواية هو ما يجعل الأحداث تقع في العديد من الأمكنة التي تنظم داخل الفضاء الروائي، لذا يجب التمييز بين الفضاء والمكان،

---

[1] حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، (الفضاء، الزمن، الشخصية)، ص27

[2] سمر روحي الفيصل: الرواية العربية، البناء والرواية مقاربات نقدية، مستويات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2003م، ص75

[3] حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، ص32

فالمكان في الرواية هو وحدة صغرى من مجموع الأماكن التي تحضر في الرواية بتشكل فضاءها» [1]. وهـــوفي هذا أشار إلى نفس المعنى الذي قدمه "حسن بحراوي".

إن مختلف الأراء السالف ذكرها والتي تشكلت حول المكان هي عبارة عن اجتهادات متفرقة، إذ نجد كل واحد منهم يُدلي باجتهاده الفردي حول "المكان" إلا أن المفهوم يبقى واحد.

[1] محمد عزالدين النازي: الرواية والفضاء الروائي، مداخلـــة مقدمـــة لنـــدوة الروايـــة العربيـــة رابطـــة أدبـــاء الجنـــوب، أغـــادير، 20ماي2001،ص27ـــ 30

المبحث الثاني: أهمية وأنواع المكان

المطلب الأول: أهمية المكان:

يكتسب المكان في الرواية أهمية كبيرة، لا لأنه أحد عناصرها الفنية أو لأنه المكان الذي تجري فيه الأحداث وتتحرك خلاله الشخصيات فحسب، بل لأنه يتحول في بعض الأعمال المتميزة إلى فضاء يحتوي كل العناصر الروائية، كما أنه يساعد على تطوير بناء الرواية وأهميته تتجلى من خلال علاقاته مع العناصر الروائية الأخرى فهو متلاحم معها: « فالمكان الروائي لايعيش منعزلا عن باقي عناصر السرد وإنما يدخل في علاقات متعددة مع المكونات الحكائية الأخرى للسرد... وعدم النظر إليه ضمن هذه العلاقات والصلات التي يقيمها يجعل من العسير فهم الدور النصي الذي ينهض به الفضاء الروائي داخل السرد» [1].

ما يفهم من سياق هذا القول أن المكان في الرواية هو المناخ الذي من خلاله تعبّر العناصر الروائية (الزمن، الشخصية...) عن وجهة نظرها.

رغم إقرار النقد بأن تشخيص المكان في الرواية هو الذي يجعل من أحداثها بالنسبة للقارئ شيء محتمل الوقوع، بمعنى يوهم بواقعيتها: « إنه يقوم بالدور نفسه الذي يقوم به الديكور أو الخشبة في المسرح، وطبيعي أن أي حدث لا يمكن أن يتصور وقوعه إلا ضمن إطار مكاني معين لذلك...» [2].

فالأماكن في الرواية تخلق فضاء شبيه بالفضاء الواقعي وتعمل على دمج الحكي في نطاق المحتمل.

---

[1] حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، (الفضاء، الزمن، الشخصية)، ص27

[2] حميد لحميداني: بنية النص السردي (من منظور النقد الأدبي)، ص65

هذا فالرواية تحتاج إلى مكان من أجل رسم حركة الشخصيات وتوضيحها بما أن: « الرواية تحتاج إلى نقطة انطلاق في الزمن ونقطة اندماج في المكان ... وللثاني تنظيم حركة الشخصيات في المكان أي أن الهجرة أو الرحلة مثلا لا يأخذ دلالة في الرواية إلا بمدى ابتعاد إحدى الشخصيات عن موقع معين أو تحركها بين موقعين» [1].

وبهذا يتضح أن المكان عنصر أساسي تقوم عليه الرواية إلى جانب الزمن والشخصية.

ما ينبغي الإشارة إليه أنه للمكان علاقة وطيدة مع الزمن: « إن المكان في مقصوراته المغلقة التي لا حصر لها يحتوي على الزمن مكثف هذه هي وظيفة المكان » [2]. وهذا يدل على أن للمكان صلات بالزمن فهو مخزن له ومن خلاله نستطيع تحديد الزمن وهو ما يجعل من وصف الأمكنة والمشاهد الطبيعية وصفا للزمن.

ويرى "ياسين النصير" بأن: « المكان في العمل الفني شخصية متماسكة ... ولذا لا يصبح غطاء خارجيا أو شيئا ثانويا، بل هو الوعاء الذي تزداد قيمته كلما كان متداخلا بالعمل الفني ... المكان هو الجغرافية الخلاقة في العمل الفني، وإذا كانت الرؤية السابقة له محدودة باحتواءه على الأحداث الجارية فهو الآن هو جزء من الحدث خاضع خضوعا كليا له، فهو وسيلة لا غاية تشكلية ولكنها وسيلة فعالة في الحدث » [3]

المكان يساهم في خلق المعنى داخل الرواية ولا يكون دائما تابعا أو سلبيا، فالموقف من المكان متأت من قيمته وما يشيره من أحاسيس ومشاعر فهو يترك أثره على نفس الإنسان، سوءبلألفة أو العدوانية، وقد يتجاوز الأثر النفسي، فهناك بعض الأماكن محملة بدلالات فكرية تعمل على إكمال المعنى في الرواية، وبهذا يقول

---

[1] عمر عاشور: البنية السردية عند الطيب صالح (البنية الزمانية والمكانية في موسم الهجرة إلى الشمال)، دار هوما للطباعة والنشر، الجزائر، دط، 2010م، ص30

[2] غاستون باشلار: جماليات المكان، ص37

[3] ياسين النصير: الرواية والمكان (دراسة المكان الروائي)، دار تينوي، دمشق، سوريا، ط2، 2010م، ص(17_18)

"حميد لحميداني": « فإسقاط الحالة الفكرية أو النفسية للأبطال على المحيط الذي يوجدون فيه، يجعل للمكان دلالة تفوق دوره المألوف كديكور أو كوسيط يؤطر الأحداث، إنه يتحول في هذه الحالة إلى محـــور حقيقـــي ويقتحم عالم السرد محررا نفسه هكذا من أغلال الوصف » [1].

المكان عنصر لا غنى عنه في العمل الأدبي وخاصة عندما يصبح محورا حقيقيا من خلال الإســـقاطات الـــتي يقوم بها الروائي فهو من أهم المحاور الروائية المؤثرة في إبراز فكرة الكاتب وتحليل شخصـــياته مـــن الناحيـــة النفسية.

يؤثر المكان على كل العناصر المكونة للعمل الروائي ويصبح عنصرا فاعلا في السرد: « والحق أن الروايـــة في كل ذلك لا تكشف المكان بقدر ما تكشف نفسها إن ينبهنا عرضها له وحضورها فيها إلى مقامـــه منـــها وأثره الفعّال فيها ومساهمته في بناء عالمها » [2].

حين يخلو العمل الأدبي من المكان يفقد خصوصيته التي ينتمي إليها وأصالته التي تعد من أساسيات العمل الأدبي، ومصوغات نجاحه، لذلك فأهميته لا تقِل شيئا عن غيرها من عناصر العمل الأدبي الأخرى، كما أنه يتسم بالجمالية والإيحاء: « فكأن الذي يبقى من آثار قراءتنا لأي عمل أدبي يمثل غالبا في أمرين مركزيين: أولهما الحيّز وآخرهما الشخصية التي تضطرب في هذا الحيّز، بكل ما يتولد عن ذلك، من اللغة الـــتي تســـتنتج، والحدث الذي تنجز، والحوار الذي تدبر، والزمن الذي فيه تعيش » [3].

---

[1] حميد لحميداني: بنية النص السردي (من منظور النقد الأدبي)، ص71

[2] عبد الصمد زايد: المكان في الرواية العربية (الصورة والدلالة)، دار محمد علي للنشر، تونس، ط1، 2003م، ص09

[3] عبد الملك مرتاض: نظرية الرواية، ص132

إن تأثير جمالية المكان في القارئ تجعله راسخا في ذاكرته، وبهذا يحفظ العمل من النسيان والإندثار، فهو يجسد عبقرية الإبداع.

كما تتضح أهمية المكان عند "حسن بحراوي" من خلال قوله: « المكان ليس عنصرا زائدا في الرواية فهو يتخذ أشكالا ويتضمن معاني عديدة، بل لأنه قد يكون في بعض الأحيان هو الهدف من وجود العمل كله »[1].

فالمكان يمثل في كل الحالات بؤرة مركزية للأحداث الحاصلة في العمل السردي، كما يتسم بالسطحية والسهولة، قياسا مع البنيات الأخرى (الزمن، الشخصيات) لسيولة هذه البنيات وحيويتها، وجمود وسطحية المكان باعتباره أرضية وفضاء لهما.

في الأخير نستنتج بأن المكان في العمل الروائي يتجاوز كونه مجرد خلفية تقع عليها أحداث الرواية، فهو العنصر الغالب فيهما، ولا يمكن الاستغناء عنه، باعتباره محورا أساسيا من المحاور التي تدور حولهما عناصر الرواية.

المطلب الثاني: أنواع الأمكنة

تختلف الأماكن شكلا وحجما ومساحة منها الضيق المغلق والمتسع المفتوح والمرتفع المنخفض والمتصل، إنها أشكال من الواقع، انتقلت إلى الرواية وصارت إحدى عناصرها المهمة كما أنها تساهم في إضاءة الجوانب

[1] حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، ص33

الروائية، وجعلها أقرب إلى الواقع لما تضفيه على الشخصيات وتفاعلها اجتماعيا ونفسيا. وعادة ما ترِد الأمكنة في شكل « ثنائيات ضدية (المفتوح / المغلق) » [1].

1 _ المكان المفتوح:

تكتسي الأماكن المفتوحة أهمية بالغة في الرواية إذ تعتبر « حيز مكاني خارجي لا تحده حدود ضيقة، يشكل فضاء رحبا، وغالبا ما يكون لوحة طبيعية لهواء طلق» [2]. فمن الأماكن المفتوحة، نجد القرية التي تطلق العنان لدلالات مختلفة منها الشعور بالحرية والقوة والانطلاق كذلك الوطن الذي تشعر فيه بالأمن والإستقرار والطمأنينة التي يحلم بالعيش فيها كل فرد من المجتمع وإنسان على سطح الأرض.

وللأمكنة المفتوحة أهمية بالغة في الرواية حين تفتح الأبواب للشخصيات من أجل التردد على هذه الأماكن العامة في أي وقت وهي أماكن أكثر من جغرافية.

2 _ المكان المغلق:

إذا كانت الأماكن المفتوحة إمتداد للفضاء الطبيعي، فإن الأماكن المغلقة محدودة بأبعاد هندسية ووظيفية، كحماية الإنسان من الطبيعة، فالمكان للمتلقي يمثل« الحيز الذي يحوي حدودا مكانية تعزله عن العالم الخارجي، ويكون محيطه أضيق بكثير من المكان المفتوح، فقد تكون الأماكن الضيقة مرفوضة لأنها صعبة الولوج، وقد تكون مطلوبة لأنها تمثل الملجئ والحماية التي يأوي إليها الإنسان بعيدا عن صخب الحياة » [3].

---

[1] الشريف حبيلة: بنية الخطاب الروائي (دراسة في روايات نجيب الكيلاني)، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2010م، ص204

[2] أوريدة عبود: المكان في القصة القصيرة الجزائرية الثورية (دراسة بنيوية، نفوس ثائرة)، دار أمل للطباعة، الجزائر، دط، دس، ص51

[3] المرجع نفسه: ص59

فالأماكن المغلقة هي التي تعزل الشخصيات نسبيا عن العالم الخارجي إذ نجد من خلالها نوع من الراحة النفسية، وتعتبر وسيط لتحقيق الأمان الشخصي للناس حين يريدون العزلة، فهي أماكن توفر للإنسان الأمن والإستقرار.

وبهذا نجد تعدد تقسيمات المكان بما يتناسب وكينونات المبدع وخواطره الدفينة ونوع العلاقة التي تجمعه بالعمل الروائي، لذلك شاعت أنواع عديدة للمكان وهذا حسب اختلاف وجهة نظر النقاد والرؤى النقدية الأدبية، إذ نجد إضافة إلى المكان المفتوح والمغلق. أمكنة أخرى:

3_ المكان الجغرافي:

حين نتحدث عن المكان الجغرافي كنوع من أنواع الأمكنة نجد أن النقاد قد اختلفوا في تحديد مفهوم دقيق حوله، بحيث تشعبت الرؤى واختلفت فمنهم من أشار إلى فكرة "الحيز" ك"عبد الملك مرتاض" ومنهم من ربطه ب"الفضاء" كما فعلت "جوليا كريستيفا" حيث تقول بأن الفضاء الجغرافي هو: « الذي يتحرك فيه الأبطال أو يفترض أنهم يتحركون »[1].

وبهذا نجد أن المكان الجغرافي هو الذي يتحول من مجرد موقع جغرافي إلى إنتماء وجداني وذلك بفضل الانزياحات النفسية التي تراكمت داخل النص، وانعكس أثرها على كل من القارئ والسامع معا.

ولا عجب أن نجد هذا التآلف بين المكان ونفسية الشاعر، فالإنسان الذي هو بطبعه فنان يرسم لوحة بحروف إبداعية لا يفهمها إلا فنانون آخرون مبدعون.

[1] محمد بنيس: الشعر العربي الحديث بنياته وإبدالاته، ص111

4_ المكان الدلالي:

يشير هذا النوع من الأمكنة إلى أنها تحمل في طياتها دلالات ومعاني مختلفة ومتعددة، وفي عمومها يصطلح عليها "فضاء الدلالة"، ولكن اختير المكان الدلالي بصفته جزء من الأمم. والمكان الدلالي هو «انزياح شعوري وجداني لحروف مرسومة تركت أثرها في نفس المتلقي » [1].

وبما أن دلالة المكان تتجاوز الحروف المكانية الواردة في النص الشعري فهي أوسع، خاصة إذا تدخل المتلقي على ما يراه على الورقة البيضاء ، كله إيحاءات ودلالات لمخيلة الشاعر أو لما يود أن يفصح عنه «...فالبيت الشعري يحمل لألف قارئ من قراءة ألف معنى، أي أنه بلا معنى محدد والقارئ فقط هو الذي يفسره حسب ما تمليه عليه نفسه، وهذا حق للقارئ مثلما هو مهارة للكاتب » [2].

فالنص الشعري طاقة هائلة لامتناهية من الايحاءات والدلالات يستطيع القارئ الفذ أن يترجمها ويفجرها حسب زاوية نظره.

قسم "ياسين النصير" المكان إلى نوعين:[3]

أ_ المكان الموضوعي:

وتتلخص خصائصه في أنه يبني تكويناته من الحياة الإجتماعية، وتستطيع أن تؤثر عليه بتماثله اجتماعيا وواقعيا أحيانا.

---

[1] جهان عوض أبو العمرين: جماليات المكان في شعر تميم البرغوثي، دار الأيام للنشر والتوزيع، عمان،ط1، 2015م، ص38

[2] عبد الله الغدامي: الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية (قراءة نقدية لنموذج معاصر)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الاسكندرية، ط4، 1998م، ص269

[3] ياسين النصير: الرواية والمكان (دراسة المكان الروائي)، ص22

ب_ المكان المفترض:

وتتلخص خصائصه في كونه ابن المخيلة البحتة، الذي تتشكل أجزاءه وفق منظور مفترض: وهو يستمد بعض خصائصه من الواقع إلا أنه غير محدد وغير واضح المعالم.

أما "غاستون باشلار" من خلال كتابه "جماليات المكان" الذي يدرس المكان ومدى ما يثير من خيال لدى المبدع والمتلقي والمكان عنده هو المكان الأليف، فقد انصبت دراسته على البيت « بيت الطفولة هو مكان الألفة، ومركز تكييف الخيال وعندما نبتعد عنه نظل نستعيد ذكراه ونسقط على الكثير من مظاهر الحياة المادية، ذلك الإحساس بالحماية والأمن الذين كان يوفرها لنا البيت» [1].

المكان وسيلة اتصال بين المبدع والمتلقي وذلك عن طريق تلك الصورة الفنية التي يرسمها المبدع، ولا وجود للمكان المعادي عند "باشلار" كمعادل للمكان الأليف.

بينما قسم "بحراوي" المكان الروائي إلى:[2]

1_ أماكن الإقامة: والتي تتفرع إلى:

أماكن الإقامة الإختيارية "فضاء البيوت"

أماكن الإقامة الجبرية "فضاء السجون"

2_ أماكن الانتقال: والتي تتفرع إلى:

---

[1] غاستون باشلار: جماليات المكان، ص09

[2] حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، ص42

أماكن الانتقال العمومية "فضاء الأحياء"

أماكن الانتقال الخصوصية "فضاء المقاهي".

وبهذا نجد تعدد تقسيمات المكان وأنواعه وإن دل على شيء إنما يدل على مدى العلاقة الحميمية بين الإنسان ككائن حي والمكان كمحيط يعيش ويحيى فيه ويموت ويعود إليه.

المبحث الثالث: حضور المكان في الفن الروائي

المطلب الأول: دلالات المكان

من المتعارف عليه بأن المكان عنصر ضروري في العملية الإبداعية بشكل عام وفي الحياة الإنسانية بشكل خاص، وهذا العنصر بمجرد ذكره فإن ذلك يستدعي في ذهن المتلقي المخزون الثقافي المترسخ لديه، فما يحمله هذا المكان من دلالات مختلفة قد تكون بشرية أو دينية أو تاريخية أو جغرافية وغيرها من الدلالات، ونحاول في هذا الصدد ذكر بعض الدلالات التي يحملها هذا العنصر.

1_ الدلالة البشرية:

إن الرواية بطابعها الفني لا تقوم من دون شخصيات وأحداث، لأن العنصران لا يكتملان إلا من خلال وجود عنصر ثالث ألا وهو "المكان".فهو المجال الذي تتحرك فيه الشخصيات وبالتالي لا يمكن للمكان أن يخلو من شخصيات الرواية وأحداثها حيث: « أن ظهور الشخصيات ونمو الأحداث التي تساهم فيها هو ما يساعد على تشكيل البناء المكاني في النص، فالمكان لا يتشكل إلا باختراق الأبطال له» [1].

إذن فكل من الشخصية والحدث يساهمان في تشكيل البناء المكاني في المتن الروائي، كما أن المكان لا يبرز تأثيره إلا من خلال الشخصيات، وبذلك تتضح لنا دلالة هذا المكان على الشخصيات، إذ يمكنه أن يكشف لنا عن الحالة الشعورية التي تعيشها الشخصية في هذا المكان، فمثلا البيت هو الذي يولد فيه الإنسان

[1] المرجع السابق، ص29

ويكبر، وبذلك يحمل دلالة عميقة في النفس البشرية فيحن إليه وقت الحاجة لأنه مكان أحلام اليقظة وتشكيل الخيال « فالمكانية في الأدب هي الصورة الفنية التي تذكرنا أو تبعث فينا ذكريات بيت الطفولة » [1].

2_ الدلالة الدينية:

من أهم دلالات المكان الدلالة الدينية « التي ترتبط بالمكان، ولاسيما أن الدين يشكل مرتكزا أساسيا في ثقافة الشعوب، فانفتاح المكان المقدس يتجه إلى البحث في علاقته بالتجربة الشعرية بالنص المقدس باعتباره أساسا دينيا، استلهم علاقة المكان بأحد المكونات الثقافية الأساسية » [2].

وبهذا يعتبر الدين مرجعية أساسية لقيام الحضارات والثقافات فلا يمكن أن تخلو ثقافة من دين وبذلك فتأثيره يكون بارزا في أي عمل فني باعتبار الدين منبع الثقافات « فبناء المكان في النص الأدبي على هذه التصورات من استحضار للقيم الدينية والروحانية والرموز على اختلاف أنواعها تساهم في توطيد علاقة الإنسان بمكانه عبر تفاعل الذات مع موجوداتها المادية والمعنوية » [3].

ومن هنا يتضح لجملة القيم الدينية الدور البارز والكلي في بيان علاقة الإنسان بالمكان الذي يعيش فيه إذ يساعده على دمج الموجودات المادية والمعنوية.

---

[1] غاستون باشلار: جماليات المكان، ص06

[2] جهان عوض أبو العمرين: جماليات المكان في شعر تميم البرغوتي، ص69

[3] المرجع نفسه: ص ن

3_ الدلالة التاريخية:

لكل مكان تاريخ خاص به يؤثر فيه ويتأثر به، ويظهر ذلك في الأعمال الأدبية التي تجعل الأديب متميزا عن غيره، وهذا يتجلى من خلال « تفرد الأديب بعمله الفني غير إعادة قراءة الماضي وتاريخه وفق رؤية الواقع الحالي » [1].

وتتمثل أساسا الدلالة التاريخية في « رصد الأديب في نصه لبعض المعالم والأحداث التي تشكل بصمة في ارتباطه بهذا المكان أو ذاك مثل: أسماء بعض المدن أو المعارك بل إن كل مكان يحمل تاريخا » [2]. أي أن تأثير الدلالة التاريخية تظهر في العمل الإبداعي وذلك من خلال استحضار تاريخ المرتبط ببيئة معينة أو مكان معين، وفي هذا الصدد يقول "ياسين النصير": « فقد حمل بعض الروائيين تاريخ بلادهم، ومطمح شخوصهم، فكان واقعا ورمزا تاريخيا قديما وآخر معاصرا شرائح وقطاعات مدن أو قرى » [3].

وبالتالي يكون استحضار التاريخ من خلال اعتماد ايحاءات ورموز تدل على التاريخ كاستحضار شخصيات تاريخية مثل: شخصية هوميروس، صلاح الدين الأيوبي... وكذلك استخدام الأساطير مثل: أسطورة تاموز وغشتار...

---

[1] المرجع نفسه: ص70

[2] المرجع نفسه: ص ن

4_ الدلالة الجغرافية:

تتجلى الدلالة الجغرافية في دلالات المكان من خلال تعلقها بالوصف الدقيق التي يقدمه الأديب في العمل الروائي لتلك الأمكنة الجغرافية، التي وقعت فيها أحداث الرواية، وفي هذا يقول "عبد الملك مرتاض": «يكون اسم المكان بالمفهوم الجغرافي رسما عجائبيا بالتعميمية مع ملامح جغرافية »[1].

وبذلك يتم نقل القارئ من مجرد قراءة إلى حالة زيارة إلى تلك الأمكنة من خلال تخيلها وكأنه موجود بها أثناء القراءة، مما يجعل القارئ أكثر تصنيف لتلك الأمكنة في الرواية، ويكون ذلك بوصف العمران سواءً كان جميلا أو قبيحا، حديثا أو قديما أو ذكر بعض الملامح الجغرافية الدالة على مكان معين (قرية، مدينة، جزيرة... إلخ).

المطلب الثاني: علاقة المكان بالمكونات السردية

لكل عمل أدبي عناصره الفنية الخاصة به فلا يوجد عمل بدون عناصر ومقومات فنية، فلشعر عناصره وللقصة عناصرها والرواية كذلك لها عناصرها، هذه الأخيرة لا يمكن الفصل بين أجزائها المختلفة من شخصية وزمن وحدث ومكان، والتي تعتبر من المقومات الأساسية في البنية السردية، فلا وجود لأي رواية من دون هذه العناصر وبالتالي لا يمكن فصل عنصر عن آخر.

---

[3] ياسين النصير: الرواية والمكان (دراسة المكان الروائي)، ص09

[1] عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، ص(138_139)

ومهما نقرُّ بأن للمكان أهمية أساسية في العمل الحكائي، إلا أنه وحده غير كافي في تشكيل العمل الروائي، فالمكان « لا يعيش منعزلا عن باقي عناصر السرد، إنما يدخل في علاقات متعددة مع المكونات الحكائية الأخرى كالشخصيات والأحداث والروايات السردية» [1].

وهذا ماسنوضحه فيما يأتي:

1_ علاقة المكان بالشخصيات:

تعتبر الشخصية إحدى العناصر التشكيلية في بناء الرواية ويعرفها "لطيف زيتوني" في قوله: « هي كل مشارك في أحداث الحكاية سلبا أو إيجابا، أما من لا يشارك في الحدث فلا ينتمي إلى الشخصيات ... فهي تتكون من مجموع الكلام الذي يصفها أو يصور أفعالها وينقل أفكارها وأقوالها » [2].

وهذا يعني أن الشخصية عنصر فعال في النص الروائي، ووجودها ضروري، فهي المحرك الأساسي لأحداث الرواية وبالتالي فالشخصية « ليست مجرد شكلية تافهة ولا هي زخرفة يستعين بها الكاتب على البهرجة والهيولية فحسب وإنما هي أكثر من ضرورية، لأنها تعتبر المحرك الأساسي في العمل القصصي ولاسيما الرواية» [3].

---

[1] باديس فوغالي: دراسات في القصة والرواية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2008م، ص59

[2] لطيف زيتوني: معجم مصطلحات نقد الرواية (عربي، انجليزي، فرنسي)، ص(113_114)

[3] محمد مرتاض: السرديات في الأدب العربي المعاصر، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 2014م، ص116

ويقول "محمد غنيمي هلال": « الأشخاص في القصة مدار المعاني الإنسانية ومحـــور الأفكـــار والآراء العامة » [1].

فالشخصيات في نظر "غنيمي هلال" ذات أهمية في العمل الفني فهي تولد المعاني وتعكســـها في شـــكل أفكار عامة.

مهما بلغ المكان من أهمية في العمل الروائي إلا أنه « لا يمكن أن ينشأ بمنأى عن الأشـــخاص فهـــو لا يتشكل إلا باختراق الأشخاص له » [2].

فالعلاقة بين الشخصية والمكان علاقة عضوية كعلاقة الجسم بالروح، فالمكان والشخصية وجهان لعملة واحدة، فكلاهما مكمل للآخر، ووجود أحدهما شرط لوجود الآخر.

وعلى ما ذُكر سابقا نجد "حبيب مونسي" في كتابه "فلسفة المكان في الشعر العربي" يقـــول: « نجـــد الذين يدرسون الشخصية في معزل عن المكان إنما يسلبونها شطرا ذا خطورة معتبرة في تحديد سماتها وتشـــخيص سلوكها وتحديد أهدافها ومقاصدها » [3].

يتضح من القول بأنه لا يمكن فصل المكان عن الشخصية على إعتبار أن المكان بمثابة الهوية الحقيقية لكل شخص.

وبناءا على ماسبق يتضح لنا بأن هناك علاقة تأثير وتأثر بين المكان والشخصية، فلا وجود لشخصية من دون مكان ولا مكان من دون شخصية، فالمكان « عنصر فاعل في الشخصية الروائية يأخد منها ويعطيهـــا،

---

[1] محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، دار النهضة المصرية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دط، 1997م، ص526

[2] باديس فوغالي: الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2008م، ص160

[3] حبيب مونسي: فلسفة المكان في الشعر العربي (قراءة موضوعاتية جمالية)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 2011م، ص12

والشخصية التي تعيش في الجبل يطبعها الجبل بطابعه، فيظهر أثره في طباع السكان وسلوكهم، والشخصية التي تعيش في المدن تطبعها المدن بطابعها » [1].

وبهذا يكون لعامل الطبيعة والمحيط تأثيره الكبير على فعل الشخصية، وبالتالي تأثيره على سلوكها وهويتها، فاختلاف المكان وتغيره يؤدي إلى تغير في سلوك الشخصية. كما أن هناك « علاقة حميمية بين الشخصية والمكان الذي تقيم فيه، فالمكان يعكس الفرد ومشاعره وأحاسيسه، وهو الذي يحدد طبيعة الشخوص وسماتها » [2].

ويتبين من خلال القول أن المكان يعكس لنا صورة الشخص وطباعه، وبالتالي نخلص إلى أن العلاقة بين المكان والشخصية علاقة تلازم واتصال وبتفاعلها تقع الأحداث.

2_ علاقة المكان بالزمن:

من المتعارف عليه أن الرواية بطابعها تقوم على مقومات أساسية من بين تلك المقومات نجد عنصر الزمن، ولهذا الأخير أهمية كبرى في تشكيل بنية النص الروائي، فلا يمكن تصور حدث روائي خارج الزمن لأنه « يؤثر في العناصر الأخرى وينعكس عليها الزمن حقيقة مجردة سائلة، لا تظهر إلا من خلال مفعولها على العناصر الأخرى» [3].

بمعنى أن السرد لا يمكن أن يتشكل إلا بوجود الزمن فهو بمثابة اللبنة الرئيسية في الرواية.

---

[1] محمد عزام: شعرية الخطاب السردي، ص70

[2] نقلة حسن أحمد العزي: تقنيات السرد وآليات تشكيله الفني، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2011م، ص105

[3] سيزا قاسم:بناء الرواية (دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ)، ص38

كما أن للزمن أهمية بالغة في حياة الإنسان فهو يمثل كينونة النفس الإنسانية، إذ يضمن الديمومة والاستمرارية حيث نجد "عبد الملك مرتاض" في كتابه "في نظرية الرواية" يقول عن الزمن: « كأنه هو وجودنا نفسه، هو إثبات لهذا الوجود أولا، ثم قهره رويدا رويدا، فالوجود هو الزمن الذي يحاصرنا ليلا ونهارا، ومقاما وتضاعنا وصِبًا وشيخوخة، دون أن يغادرنا لحظة من اللحظات» [1].

فيبدو من خلال القول بأن الزمن عنصر ملازم لحياة الإنسان بصفة عامة وللعمل الروائي بصفة خاصة، ونظرا لتلك الأهمية البالغة التي شغلها عنصر الزمن وقد نال حظا وافرا من الدراسة والاهتمام من قبل الفلاسفة والعلماء والباحثين حيث قدموا تعريفات عديدة من بينها قول "عبد الملك مرتاض": « فالزمان لفظ مشتق معناه من الأزمنة بمعنى الإقامة» [2].

أي أن الزمان يحيل إلى البقاء والاستمرار في المكان، وبالتالي نجد لعنصر الزمن هو المدة التي تقع فيها أحداث الرواية.

وبالرغم من الأهمية الكبيرة للزمن في العمل الروائي، إلا أنه لا يمكن أن يؤدي وظيفة في العمل الحكائي من دون عنصر المكان، هذا الأخير يعتبر بمثابة توأم حقيقي للزمن، حيث لا يمكن تصور رواية خالية منهما لأنهما بنيتين أساسيتين في قيام هيكل الرواية فهما شيئان متصلان، والعلاقة بينهما كعلاقة العقل بالجسم، لذلك قيل: « الزمان عقل المكان » [3]. فالعلاقة بينهما وطيدة ولا يمكن التفريق بينهما.

---

[1] عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، ص171

[2] المرجع السابق: ص172

[3] حنان محمد موسى حمودة: الزماكانية وبنية الشعر المعاصر (أحمد عبد المعطي أنموذجا)، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط1، 1991م، ص114

ويبدو من خلال ماسبق أن الزمان والمكان تربط بينهما علاقة تكامل وتداخل، فلا يمكن فصل أحدهما عن الآخر لأن ذلك يؤدي بهما إلى الموت، وعليه فالمكان « لا يفصل عن الزمان الذي يلتحم فيه، فلا مكان ولا فضاء ولا حيز أو لحظة زمنية، ومن ثم لا حدث ولا شخصية خارج الإطار الزمكاني» [1].

إذن فالعلاقة بينهما علاقة تلازمية توحدية، فالحديث عن الأول يستدعي بالضرورة الحديث عن الثاني.

فالعمل الروائي يستدعي بالضرورة عضوي الزمان والمكان معا على اعتبارهما الحافزين الأساسيين في كل عمل روائي، لأن الرواية بحاجة إلى « نقطة انطلاق في الزمن ونقطة اندماج في المكان يستند للأولى تنظيم حركة الأحداث في الزمن وللثانية تنظيم حركة الشخصيات في المكان» [2].أي أن الزمان والمكان عنصران مكملان للعملية الإبداعية.

كما أشار "محمد مفتاح" إلى العلاقة الوطيدة بين عنصري المكان والزمان إذ يقول: « على أن الزمان بأنواعه المختلفة إطاره هو المكان ينجز فيه، ولذلك فإنه لا مناص من الحديث عنه » [3].

إذن مصطلحي الزمان والمكان قريبين إلى الذهن فحديثنا عن المكان يوحي بالضرورة الحديث عن الزمان، فالثاني يكمل الأول، والأول لا يستغني عن الثاني حتى أن الدراسات الحديثة اقتصرتها في كلمة واحدة "الزمكان".

---

[1] حسن المناصرة: مقاربات في السرد (الرواية والقصة في السعودية)، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط1، 2012م، ص243

[2] عمر عاشور: البنية السردية عند الطيب الصالح (البنية الزمنية والمكانية في موسم الهجرة إلى الشمال)، ص30

[3] محمد مفتاح: دينامية النص (تنظير وإنجاز)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 1990م، ص69

فهذا "صالح ولعة" من خلال كتابه "المكان ودلالته" يقول: « فتجسيد المكان في الرواية يختلف عن تجسيد الزمن، حيث أن المكان يمثل الخلفية التي تقع فيها الأحداث، أما الزمن فيتمثل في هذه الأحداث نفسها وتطورها »[1].

ومن هذا القول نجد أن هناك علاقة تجمع بين المكان والزمان إلا أن لكل منهما خصوصية، كما أن هناك اختلاف في طريقة إدراك الزمان والمكان حيث يرتبط الزمن « بالإدراك النفسي، أما المكان فيرتبط بالإدراك الحسي »[2].

فالزمن يدرك بالمشاعر النفسية الإنسانية، أما المكان فيدرك بالحواس.

ونخلص مما سبق أن بالرغم من الخصوصية التي يمتاز بها كل عنصر عن الآخر إلا أنه لا يمكن تجاهل العلاقة الوطيدة التي تجمع بين الزمان والمكان، فلا يستطيع أن يوحي عنصر منهما في غياب الآخر فلكل واحد منهما تأثير على الآخر، فلا وجود لمكان دون زمان ولا سيرورة لزمان دون مكان يتشكل فيه.

[1] صالح ولعة: المكان ودلالته في رواية "مدن الملح"لعبد الرحمان منيف، عالم الكتب الحديث، إربد، ط1، 2010م، ص52

[2] محمد عزام: شعرية الخطاب السردي، ص68

الفصل الثاني: تجليات المكان ودلالته في رواية

"اختلاط المواسم"

أو وليمة القتل الكبرى

المبحث الأول: حول الرواية

المبحث الثاني: دراسة أنواع ووظائف الأمكنة في الرواية

المبحث الأول: حول الرواية

المطلب الأول: تعريف الرواية:

رواية "اختلاط المواسم" أو "وليمة القتل الكبرى" ل"بشير مفتي" تجربة مهمة في كتابة الرواية البوليسية ذات البناء النفسي والفكري الفلسفي بطلها "قاتل" محترف يعتبر البشر أشرارا بطبعهم.

صدرت الرواية عن دار "ضفاف اختلاف" سنة 2019م، ليتداولها الكثير من النقاد حال صدورها نذكر من بينهم الناقد والدكتور الجامعي "لونيس بن علي".

يبلغ عدد صفحاتها 247 صفحة، من القطع المتوسط مكتوبة بالخط المغاربي، يقع في أعلى الواجهة الأمامية للغلاف الخارجي للرواية، اسم المؤلف "بشير مفتي" والذي جاء كعنوان أولي بارز متوسط الحجم.

ويبدو أن مؤلف الرواية قد عمد إلى جعل اسمه في الصدارة كإشهار لاسمه الأدبي، ضف إلى هذا فإن لون الخط الأزرق الدال على الصفاء والنقاء والسلام، هو إشعار برغبة المؤلف في إحلال السلام بين الناس.

ويتموضع عنوان الرواية تحت اسم الرواية مباشرة بالخط المغاربي كبير الحجم بلون برتقالي قريب من اللون الأحمر، وهو لون يوحي بنوع من الخطر واللاأمان واللااستقرا.

ويأتي بعده العنوان الفرعي للرواية "وليمة القتل الكبرى" وكتب بخط أقل سماكة من العنوان الأصلي وجاء بلون أسود قاتم، ويرتبط هذا اللون عادة بمعاني الحداد والخيانة والحزن واللاأريحية، وبالنظرة التشاؤمية للحياة وهو يدل على أشياء يمقتها الإنسان الطبيعي السوي. فاللون الأسود يعتلي عنوان الرواية في واجهتها الأمامية ليكون وسما للموت والقتل، وهو ما يمهد لقارئ الرواية منذ القراءة الأولى أنها رواية تحمل في طياتها بشاعة القتل.

أما لون الواجهة الأمامية الرمادي القريب من اللون الأزرق فهو يترجم معاني الصفاء والنقاء والأمل تدعمه زرقة البحر، وهذه الإشراقة وهذا الأمل تعبر عنهما الصورة التشكيلية للواجهة الأمامية الواقعة أسفلها،

وهو صورة فتاة ترتدي زيّا بالون الأبيض والأحمر، وهي ألوان تحمل في طياتها ثنائية ضدية وقد تعمد المؤلف إلى اختيار هذه الصورة لتتناسق مع محتوى الرواية.

تبدو الفتاة في الصورة تتأمل في الأفاق وتراقب الفضاء الواسع بهدوء وصمت على طريق يشق باب البحر عيناها تائهتان، أفكارها شاردة وروحها تائهة قبالة أمواج البحر، لكن وجودها في غربة عن العالم يعطي انطباعا وشعورا بالحرية والانطلاق.

ودون أسفل الصورة التشكيلية عنوان دار النشر "منشورات الاختلاف" باللغتين العربية والفرنسية.

أما الصورة الخلفية لغلاف الرواية فقد تضمنت في أعلى الجهة اليمنى عنوانا رئيسيا "اختلاط المواسم" بلون الواجهة الأمامية، دون العنوان الفرعي وتحته صورة المؤلف ونبذة عن حياته وأعماله، يقابلها من الجهة اليسرى مقتطف من الرواية، فحواه تلك الشخصية الفريدة من نوعها التي يتمتع بها (القاتل) بطل الرواية.

في أسفل الغلاف نجد عنوان دار النشر "منشورات ضفاف" و"منشورات الاختلاف"، والرقم الدولي، ومصمم الغلاف ذي اللون الأزرق القاتم هو "يوسف القوتي".

يعتلي الصفحة الأولى من الرواية عنوان الرواية يليه اسم المؤلف وفي الأسفل دار النشر، في الصفحة الموالية رقم الطبعة (الطبعةالأولى)، وسنة النشر 1440هـ /2019م والرقم الدولي.

وفي الصفحة الموالية ذكر تنبيه بإمضاء المؤلف يشير فيه إلى البعد الفني للرواية، وهو تنبيه معتاد في الأعمال السنيمائية والمسرحية مضمونة أن هذا العمل هو من نسيج الخيال، أي تطابق له مع الواقع فهو من محض الصدفة.

في الصفحة الموالية نجد "توشيه" وهي عبارة عن كلمات شعرية ترتبط ارتباطا وثيقا بعنوان الرواية وتعود ل"هنري تشارلز بوكوفسكي" وهو شاعر وروائي وكاتب ألماني أمريكي.

أما عن فصول الرواية فعددها خمسة فصول، يحمل الفصل الأول عنوان "القاتل"،أما الفصل الثاني فجاء بعنوان "صادق سعيد" والثالث موسوم ب"القاتل" أيضا، والرابع بعنوان "سميرة قطاش" ليأتي الفصل الخامس والأخير بعنوان "القاتل" الذي تكرر ثلاث مرات، ويدل ذلك على استحواد شخصيته في سير أحداث الرواية.

نشير في الأخير أن رواية "اختلاط المواسم" لا تضم فهرسا لعناوين الفصول.

المطلب الثاني: ملخص الرواية

تدور أحداث رواية "اختلاط المواسم أو وليمة القتل الكبرى" ل "بشير مفتي" حول التقاء واشتباك مصائر أربع شخصيات ببعضها البعض والتي جرت أحداثها بين "العاصمة" و"تيزي وزو"، وتحكي الرواية عن فئة من الشباب الذين يعيشون حالة صراع دائم في مجتمع يعج بالزيف والتمزق الداخلي.

تبتدئ الرواية بشخصية (القاتل) الذي يعيش حياة مختلفة عن باقي البشر العادين، بحيث يتفطن في سن مبكرة لميوله الإجرامي ليكتشف أن مسكون بقوة خفية تدفعه إلى القتل والإستمتاع بذلك الفعل، وفي تلك الأثناء التي تعيش فيها البلاد وضعا أمنيا غير مستقر، بسبب جماعة الإرهاب يقرر (القاتل)الإنظمام إلى فرقة تسمى"فرقة الموت" للتصدي للإرهابيين الذي راحو يمارسون أشنع جرائم القتل، فيصبح بذلك قاتلا محترفا.

وبعد انتشار الأمن والإستقرار مجددا في البلاد يحال على التقاعد، فيتحول إلى حياة السهر والملاهي ليخفف عن نفسه وطأة الصراعات النفسية التي كان يعيشها كونه توقف عن ممارسة أكثر شيء يحبه: القتل.

وبعد هذا يعود إلى القتل تحت إمرة الضابط (ع)، ثم يكاد يكشف أمرهما من قبل الضابط (هارون) الذي كان يبحث حول "فرقة الموت" ويقرر (القاتل) الهروب بعيدا إلى مدينة "تيزي وزو" ليبدأ حياة عادية هادئة بعيدة عن أجواء القتل.

يتعرف هناك على شابة اسمها (سميرة قطاش) أستاذة جامعية تعيش بدورها حالة الشعور بالخواء فتحكي له عن رغبتها في الموت كونها فقدت رغبتها في الحياة، وهنا تدخل العملية السردية شخصية (صادق سعيد) وصديقه (فاروق طيبي)، كانت سميرة مولعة بحب أستاذها صادق رغم علاقته ب "سارة حمادي".

كانت حياة (صادق سعيد) مليئة بالمشاكل التي كانت تلاحقه دائما بسبب خطاباته السياسية القوية الجريئة، لينتهي به المطاف في مستشفى الأمراض النفسية بعد تخلي زوجته (سارة) عنه إثر اكتشافها بالعلاقة التي كانت بينهما هو و (سميرة).

ثم يدخل على الخط شخصية أخرى هي (فاروق طيبي) شاب بسيط من الريف تحديدا من منطقة "المدية" صديق (صادق سعيد) الذي كان بدوره عاشقا ل (سميرة) حد الجنون، ومن شدة حبه ل (سميرة) يعرض عليها الزواج عدة مرات اكنها قابلته بالرفض، فتعرض عليه الجسد دون القلب.

وبعد محاولات يائسة منه لإقناعها بالإرتباط به، يقرر أن يضع حدا لحياته، فيقدم على الإنتحار.

أما (سميرة) المثقفة الحالمة بمستقبل زاهر والتي هربت إلى "العاصمة" ولتكوّن نفسها، لكن ما واجهته من تجارب حب كلها فاشلة جعلتها تختار الإنتحار الذي ترى فيه خلاصها من حالة الألم والحزن اللذان كانت تشعر بهما، وبطلب منها يفعل (القاتل) ذلك فيعطيها جرعة من السم لتغيب عن الحياة إلى الأبد.

أما (القاتل) فيعود إلى حياته الطبيعية من جديد بعد تلقيه اتصالا من الضابط (ع) طالبا منه أن يحضّر نفسه لأن هناك عمليات كثيرة سينفدها.

المبحث الثاني: دراسة أنواع الأمكنة في الرواية

المطلب الأول: أنواع الأمكنة

المعروف عن الروايات التقليدية الكلاسيكية أنها تصف وبشكل دقيق كل جزيئات وزوايا المكان بكل تفاصيله الدقيقة، وهذا الوصف يختلف من روائي لآخر ف«غالبا ما يأتي وصف الأمكنة في الروايات الواقعية مهيمنا بحيث نراه يتصدر الحكي في معظم الأحيان» [1].

فتحديد وصف معالم المكان كان سمة بارزة، لكن ما نلحظه في الرواية الجديدة يختلف تماما على ذلك.

وكان ذلك على كبار الدارسين مثل: "غرييه آلان روب" (Grillet Alain Robbe)، ناتالي ساروت (Natalie Sarraute) وغيرهم.

ومايميز الرواية الحديثة أنها «تثور على القواعد وتنكر لكل الأصول وترفض كل القيم والجماليات التي كانت سائدة في كتابة الرواية التي أصبحت توصف بالتقليدية» [2].فاعتبروا سمة تحديد معالم بنية المكان بدقة شيء ينقص من جمالية النص الروائي.

ومن خلال قراءتنا لرواية "اختلاط المواسم" ل"بشير مفتي" ودراستنا بنية المكان فيها يمكن تصنيفها ضمن الروايات الحديثة باعتبارها تنوع الأمكنة دون الاهتمام بكل تفاصيلها.

ومن خلال رصدنا لبنية الأماكن في رواية "اختلاط المواسم" سنبدأ بتصنيف الأماكن المغلقة على حدة والأماكن المفتوحة على حدة، إذ تتشكل هذه الثنائية الضدية من طبيعة المكان الذي تحده الحدود والحواجز والقيود التي تشكل عائقا لحرية حركات الإنسان وفاعلياته وانتقاله من مكان إلى آخر وتحدد من جهة أخرى

---

[1] حميد لحميداني: بنية النص السردي، ص65

[2] عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، ص11

طبيعة العلاقة مع الآخرين وانفتاح هذه العلاقات وانغلاقها على قوانين وظوابط وشروط مسموح بها أو غير مسموح بتجاوزها.

بمعنى أنه من الناحية الجغرافية ترسم هذه الأماكن مسارا سرديا مفتوحا فيما تحتم طبيعتها النفسية نوعا من الانغلاق، فهو إذا انغلاق نفسي وليس جغرافي ونفس الحال مع الأماكن المغلقة لأن طبيعة الحياة وارتباط الإنسان بها أو نفوره منها هي التي تحدد طبيعتها.

ولتوضيح وتسهيل هذه الدراسة أكثر سنتعرض أولا إلى الأماكن المغلقة بعدما نقوم برصدها وبيان دلالتها بعدها ستنعرض إلى الأماكن المفتوحة لأن رواية "اختلاط المواسم" مرسومة بدقة لنحشد فيها هذا الكم الهائل المتعدد والمتنوع من الأماكن بتفرعاتها.

1 ــ الأماكن المغلقة:

يؤدي المكان المغلق دورا مهما في العمل الروائي له صلة وطيدة بالشخصيات فهو يتسم بالضيق، وهذه الأماكن مغلقة قد توحي بالوحشة والضيق أحيانا وقد توحي بالألفة والأنس أحيانا أخرى، بعضها يوفر الحماية من المحيط الخارجي.

كما قد توحي بالراحة والطمأنينة وتجسد الإنتماء، وهذا ما أكدته "حفيظة أحمد" من خلال كتابها "بنية الخطاب في الرواية النسائية الفلسطينية" بقولها: «... توحي بالراحة والأمان وفي الوقت نفسه لا يخلو الأمر من مشاعر الضيق والخوف لاسيما إذا كان المغلق السجن أو مايشابهه» [1].

وهذا ما يتبين لنا من خلال الأماكن المغلقة الواردة في الرواية والتي رصدتها هذه الدراسة وتتمثل في:

[1] أحمد حفيظة: بنية الخطاب في الرواية النسائية الفلسطينية (دراسة نقدية)، مركز أوقاريت الثقافي، فلسطين، ط1، 2006م، ص134

أــ بيت القاتل:

يعتبرالبيت من الأماكن المغلقة يوحي بالراحة والطمأنينة لأنه يوفر الحماية لصاحبه من كل سوء قد يصيبه في الخارج، يعتبر رمز الأمان بأشكاله الكثيرة المتنوعة، وسرعان ماتشأ رابطة قوية بين الأنسان وبيته، لكون منبع للذكريات فكل زاوية من زواياه تشد على مراحل نمو أفراده « البيت هو ركننا في العالم، إنه كما قبل مراراكوننا الأول، كون حقيقي بكل ما للكلمة من معنى» [1].

فالبيت هو ملجأ الإنسان الأول والأخير وهو جزء منه وفيه« فالبيوت والمنازل تشكل نموذجا ملائما لدراسة قيم الألفة ومظاهر الحياة التي تعيشها الشخصيات، وذلك لأن بيت الإنسان امتداد له» [2].

فالبيوت تعبر عن أصحابها، فإذا وصفت البيت فقد وصفت الإنسان فلا شيء في البيت يمكنه أن يكون دا دلالة من دون ربطه بالإنسان الذي يعيش فيه.

والبيت هنا يمثل المكان الذي ولد وترعرع فيه القاتل لكنه لم يكن بالنسبة إليه مصدرا للراحة والامان، فهو على حد قوله بيتا موحشا وفيه صمتا رهيبا أقام في هذا البيت وعاش فيه طفولته وشبابه وغادر لفترة من الوقت كونه كان يخضع لتدريبات وكان لزاما عليه أن يمكث بعيدا فترة من الزمن وقد قدم وصفا بسيطا للبيت، حيث يقول الراوي على لسان القاتل: « عدت إلى بيتي في حي العناصر وأغلقت على نفسي الباب وتفقدت غرفة وراء أخرى بدا لي كبيرا وواسعا» [3].

أول مانلاحظه أن البيت لم يوصف بدقة فلم يذكر لنا لا شكل البيت ولا مايحويه من أثاث وأشياء أخرى، فقد رسّخ البيت في ذاكرة القاتل ذلك الشعور بالوحدة فرغم المحبة والاهتمام اللذان كان محاطا بهما

---

[1] غاستون باشلار: جماليات المكان، ص36

[2] حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، ص43

[3] بشير مفتي: رواية اختلاط المواسم أو وليمة القتل الكبرى، منشورات ضفاف منشورات الاختلاف، بيروت، لبنان، ط1، 2019، ص40

من طرف والديه إلا أن الراوي يصف لنا بيته بأنه صامت« ولدت في بيت عجائز مسكون بالصمت والوحشة» [1].

وكأن القاتل كان غريبا في بيته، فربطه هذا المكان بالوحشة دليل أنه لم يكن مبعثا للأجواء العائلية التي تسودها الألفة.

ضف إلى ذلك أنه منطو على نفسه فحتى والديه كانت له علاقة عادية بهما« حتى أمي كنت أكرهها من حين لآخر مع والدي لانهما أنجباني في سن متأخرة» [2].

فلم تكن هناك حوارات تدور بينهم، رغم أنه الابن الوحيد لهما و لم يكن له إخوة، نشأ في جو مملوء بالصمت والوحدة، وربما يكون هذا السبب الحقيقي في نفوره من الاطفال الذين من نفس عمره يقول:« كنت أنفر من الأطفال من مثل سني» [3]، وقد كان شديد العدوانية ومشاكس و لم يكن يحب الإختلاط بهم في المدرسة« كنت شديد العدوانية و لم أكن أتسامح مع من يخطأ في حقي» [4].

كان دائما يميل إلى الجلوس وحده، يتوعد بالضرب كل من يخطأ في حقه ولا غرابة في ذلك كونه قتل قطة البيت وهو في سن صغيرة، وربما هذا مارسّخ فيه الميول الإجرامي منذ الصغر، فالبيت يلعب دورا مهما في تنشأت الأطفال. ف(القاتل) منذ طفولته كان يعاني الوحدة وحتى بعد وفاة والديه، وهذه الوحدة تولدت أساسا من البيت الذي يعيش فيه فيقول:« تركوني وحدي أعيش في بيت واسع» [5]

---

[1] الرواية، ص13

[2] الرواية، ص13

[3] الرواية، ص14

[4] الرواية، ص14ـ15

[5] الرواية، ص29

ب ــ الغرفة:

وهي مكان إقامة (القاتل) أثناء التحاقه بسلك الأمن، فصورتها كانت عكس ماكان يحبه وعكس ما اعتاد عليه في غرفة بيته لتأتي الغرفة الجماعية التي كانت مشتركة مع أفراد سلك الأمن، إذ كان يراها تسبب له الضيق والإزعاج فقد تعود على غرفة اوسع يقول: ﴿ كنت أكره النوم في تلك الغرفة الجماعية الكبيرة كان ذلك يضايق شخصا تعود على غرفة نومه الخاصة﴾ [1].

وذلك لأنه كان مجبرا على فعل أشياء لم يكن يحبها يقول: ﴿ كنت مجبرا على المحادثة مع غيري في مواضيع تافهة ولا تهمني كثيرا﴾ [2].

مانفهمه أن (القاتل) شخص لايحب الأشياء التي تشترك فيها جميع الناس، لايحب أن يكون مشابها مماثلا لأيٍّ كان فهو يحب تلك الخصوصية التي كان ينعم بها في غرفته الخاصة، فهذه الغرفة الجماعية لم تتح له التحرك كما يشاء وممارسة ذلك العالم المكون من نسيج خياله بكل حرية بل قيدته وأسرت حريته.

ج ــمكتب الضابط (ع):

المكتب هو مكان عام خاص بأعمال الشؤون الأمنية، وقد وصف الروائي مكتب الضابط (ع)بشكله وديكوره من الداخل حيث قال: ﴿ كان مكتب الضابط (ع) بلا أثاث تقريبا كرسيين خشبيين وطاولة خشبية أيضا ﴾ [3].

فهذا المكتب لايحدفيه كل المواصفات التي يحتوي عليها المكتب العادي بل اكتفى الراوي بذكر الكرسيين الخشبيين والطاولة ليس أكثر .

---

[1] الرواية، ص 29

[2] الرواية، ص30

[3] الرواية، ص36

وما يمكن أن نقوله أن طبيعة هذا المكان وطبيعة العمل الممارس فيه تفرض عدم وجود أثاث آخر فهو مخصص للمخططات العسكرية « أدخلني إلى مكتبه الصغير الذي كان يقع في دهليز الثكنة، مكتب يقع في طابق أرضي لا يقترب منه أحد » [1].

فمكتب الضابط (ع) كان على عكس المكتب العادي الذي يحوي مثلا بعض الكتب، غير أن المكتب هنا كان على سمة مغايرة مختلفة عن مواصفات المكتب تماما نظرا لطبيعة العمل السري الذي كانت تفرضه المهمة، إذ كل مايخصها ليس مسموح للجميع الإطلاع عليه « قلة قليلة فقط مسموح لها بالدخول » [2].

فالمكتب أشبه بأماكن سرية يتم فيها التجاوب بشكل سري.

د ــ المدرسة:

المدرسة من الأماكن المغلقة ومكان للتعلم والتزود بالمعرفة وتعتبر المكان الذي يلتقي فيه مجموعة من الطلبة، ويتلقون فيها جميع سبل المعرفة.

ويتجلى هذا المكان في رواية "اختلاط المواسم" الذي يجعل من (القاتل) شخصا عدوانيا غير متسامح مع زملائه يرفض الإحتكاك معهم فكان الشخص المكروه لديهم « أصبحت مكروها من طرفهم» [3].

هذا المكان وكما سلفنا الذكر أنه مكان للتعلم إلا أننا هنا أن المدرسة قد زرعت في نفسية (القاتل) حب القتال ، إذ يقول: « كنت على استعداد للقتال حتى الموت» [4]، وفي موضع آخر يقول: « أحضرت معي سكين من المطبخ» [5].

---

[1] الرواية، ص35

[2] الرواية، ص35

[3] الرواية، ص15

[4] الرواية، ص16

[5] الرواية، ص16

ومن هنا يتضح أن للمدرسة بالنسبة (للقاتل) مجرد مكان مغلق لم يحقق له الرغبة المنشودة في الحياة، بل كانت مركزا لتعلم فنون القتال وذلك لمحارات زملائه في المدرسة ويظهر ذلك في قوله: « أفاجئهم باسلاح الأبيض... ففروا جميعهم في رمشة عين » [1].

هـ ـ الملهى:

يعتبر الملهى من أماكن المجون والفساد غالبا، فبمجرد ذكر اسم "ملهى" حتى يتبادر إلى الذهن الإنحراف عن الطريق الصحيح المستقيم دينيا واجتماعيا والميل إلى الفساد والرذيلة والإحرام.

ذكر الراوي "الملهى" دون موصفاته وما يحتوي عليه، وقد ذهب إليه (القاتل) بعد أن كان الضابط (ع) قد تحاور معه مصرا على زواجه مستغربا من عزوبيته « كيف لا تكون متزوج ولا تملك عاشقة وأنت في مثل هذا السن » [2].

فأخذ يفكر فيما اقترحه عليه ليقرر أخيرا الذهاب إلى "الملهى" باحثا عن عشيقة ليمارس رغباته معها، يقول: « ذهبت إلى ملهى ليلي برياض الفتح » [3].

فيتعرف على عاهرة اسمها "سمسم"، لكنه كان يرى فيها هدفا لتحقيق النشوة الحقيقية ورغباته الإجرامية بقتلها وليس مجامعتها يقول: «أقتلها ساعتها بكل لذّة، هي أكبر من لذّة مجامعتها دون شك» [4].

ما نلاحظه أن الروائي لم يكثر من ذكر"الملهى" إلا مرات قليلة لأن اهتمام (القاتل) كان منصبا على أشياء أخرى.

---

[1] الرواية، ص16

[2] الرواية، ص37

[3] الرواية، ص40

[4] الرواية، ص42

وبهذا نجد أن الأماكن المغلقة أماكن تحدها أطر مغلقة على العالم الخارجي، فالمكان المغلق يكون محيطه أضيق، (كما أشرنا في الجانب النظري) بكثير من المكان المفتوح؛ أي هي أمكنة توحي وترمز إلى العزلة والكبت والخصوصية والعجز.

2 ــ الأمكنة المفتوحة:

تلعب الأماكن المفتوحة الدور المحوري البارز في الرواية، إذ توحي بالاتساع والتحرر، ولها رابطة وثيقة مع الأمكنة المغلقة والرابط بينهما هو الإنسان الذي ينتقل من الأمكنة المغلقة إلى المفتوحة أو العكس « إن الأمكنة بالإضافة إلى اختلافها من حيث طابعها ونوعية الأشياء التي توجد فيها تخضع إلى تشكلاتها أيضا إلى مقياس آخر مرتبط بالاتساع والضيق أو الإنفتاح والإنغلاق» [1].

فالمكان المفتوح منفتح على العالم الخارجي والطبيعة، وكما أشرنا في الجانب النظري هي أماكن يتردد عليها الأفراد بغية الإلتقاء والتواصل مع الآخرين وهي تختلف من مكان لآخر.

هذه الامكنة المفتوحة والمغلقة علاقتهما ببعضهما البعض تتحدد من خلال الإنسان الذي ينتقل من المكان المفتوح إلى المغلق أو العكس، أي أن حياته عبارة عن تنقل بين هذا وذاك، وهي تشهد« حركة الشخصيات وتشكل مسرحا لغدوها ورواحها، عندما تغادر أماكن إقامتها أو عملها... وهذه الفضاءات يمدنا بمادة غزيرة من الصور والمفاهيم وتساعدنا على تحديد السمة أو السمات الأساسية التي تتصف بها تلك الفضاءات» [2].

وسمي أيضا المكان المفتوح لأنه لاحدود تحده مثل المكان المغلق الضيق الذي يعرف دائما حركة مستمرة، ولقد حصرنا الأماكن المفتوحة في الرواية وحصرناها فيما يلي:

---

[1] حميد لحميداني: بنية الشكل الروائي، ص79

[2] حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، ص 79

أ ــ حي العناصر:

الحي أو الشارع هو ذلك المكان العام كما هو معروف منفتح على العالم الخارجي، وهو يعج بالحركة والحيوية المستمرة وهو الحي الذي يسكن فيه (القاتل) مع والديه قبل وفاتهما.

هذا الحي لم يقدم حوله التفاصيل والمواصفات الدقيقة وذلك في قوله: ﴿ أي غير بعيد عن حي العناصر﴾ [1]، وفي موضع آخر تحدث عنه وقال: ﴿ عدت إلى بيتي في حي العناصر﴾ [2].

والحي وعلى اعتباره مكان يلعب دورا مهما في الرواية وفي سيرورة أحداثها كونه مأخوذ من كلمة "حي" المأخوذة من"الحياة"، والتي توحي بالحياة والحركة والنشاط، لكننا لم نجد في الرواية وبشكل صريح وما يوحي على دلالته أو دوره ولمذا وظفة الراوي وقدمه بشكل واضح جعلنا نتساءل،لمذا استعمل هذا الحي بالضبط، أي ترك لنا مجال التأويل كل ووجهة نظره.

ب ــ غرفة البيت:

رغم محدودية مساحتها وانغلاق جدرانها، فإنها تمثل الفضاء الأرحب الذي ينطلق منه السارد إذ تعتبر أكثر خصوصية من البيت، ففيها ينفرد ويختلي (القاتل) بنفسه ويمكنه فيها التصرف على هواه إذ يمارس خصوصياته فيها.

ومن خلال رواية "اختلاط المواسم" نلاحظ أن الغرفة لم ترد كثيرا، وإنما اكتفى الراوي بتقديم مجموعة من الأوصاف البسيطة على لسان (القاتل) إذ يقول:﴿ كانت لي غرفتي الكبيرة المجهزة بكل ما أحتاج إليه غير

---

[1] الرواية، ص26

[2] الرواية، ص40

أنني لم أكن بحاجة إلى أشياء كثيرة. كان يكفيني السرير الذي أنام فوقه، المكتب الصغير الذي أدرس فيه، بعض ألات الرياضة...الكتب المصورة... بعض القصص الملونة» [1].

من خلال هذا المقطع نجد أن السارد يصف الغرفة أنها كبيرة وواسعة ومجهزة بكل مايحتاج إليه (القاتل) كانت بالنسبة له ذلك المكان الذي يحقق له حريته، لأنها ذلك العالم الذي يحوي خصوصياته ويمارس فيها عالمه الخاص الذي يختلف عن باقي الناس.

ورد أيضا أن غرفة (القاتل) كانت تحوي الكتب والقصص وهذا يدل على أنه كان شغوفا بالقراءة محبا للمطالعة منذ أن كان صغيرا وهذا ما جعلنا نكتشف جزءا من شخصيته الغامضة أنه كان مثقفا دخل عالم الكتب في سن مبكرة.

ذكر أيضا من بين أثاث هذه الغرفة الآلات الرياضية وهي تكشف عن ميوله للرياضة، تطرح هذه الأشياء أسئلة إفتراضية عن شخصية (القاتل) الغريبة المتقلبة، أكان يمارس كل هذه الهوايات من وقت لآخر، أم لتغطية أوقات فراغه يكفي أنه صنفها ضمن الاشياء التي كان بحاجة إليها.

ج ــ المدينة:

تمتلك المدن حضورا متميزا في الروايات الحديثة، فلم تعد مجرد مكان مفتوح تدور فيها أحداث اعتيادية يومية للشخصيات، بل أصبحت بمعالمها وعماراتها وأشكالها الهندسية المختلفة من مدينة إلى أخرى فهي تمثل ذاكرة وروح وتاريخ المجتمعات، وتضم مجموعة من المباني القديمة والحديثة وحتى الأثرية.

[1] الرواية، ص17

وتختلف المدينة عن القرية كونها تضم النشاطات الكثيرة، ويسكنها عدد هائل من الناس تمتاز بالحركة وتطور المباني، تعتمد على الصناعات والتبادلات التجارية عكس القرية التي تعتمد على زراعة الأرض في رزقها ضف إلى هذا كل مدينة تختلف عن المدن الأخرى في شوارعها وأزقتها ومعالمها.

وفي رواية "اختلاط المواسم" نجد أن الأحداث تدور في مدينتين هما:

أـــ العاصمة:

هذه المدينة التي تدور فيها أحداث الرواية، إذ تعتبر مركز التقاء الشخصيات المحورية فيها، فهناك مـــن ذهب إليها بغية الدراسة مثل: (سميرة قطاش)حيث تركت مدينتها "قسنطينة"، طمعا في مستقبل واعد وزاهـــر فقررت أن تكمل دراستها في العاصمة وكانت تريد أن تعتمد على نفسها في تحقيق مستقبلها تقول: «وهكذا خرجت من منطقة الشرق التي لم أكن أعرفها جيدا إلى مدينة كبيرة ك"الجزائر العاصمة"» [1].

أما بالنسبة ل(سميرة) فكانت فضاءً مفتوحا رحبا، لأنها كانت تراه مكانا يكون سببا في تحقيق مستقبل زاهر وواعد بكل الأشياء الجميلة التي كانت تحلم بها تقول:« وفي نفس الوقت واعدا ومفتوحا على أشـــياء جميلة تنتظرني في المستقبل القريب» [2].

ب ـــ تيزي وزو:

هذه المدينة التي مثلت مهربا ل(لقاتل) بعد أن تأزم عليه الحال بمجيء المحقق (هارون)، الذي فتح ملف تحقيق حول (فرقة الموت) التي كانت تقاتل خلال "العشرية السوداء".

---

[1] الرواية، ص190

[2] الرواية، ص191

بعد أن رجع وعاد الاستقرار إلى البلاد قرر (القاتل) السفر خوفا من أن يكتشف أمره وفي حوار داخلي (مونولوج)، وقع إختياره على مدينة "تيزي وزو" إذ يقول: « بما أن مهمتي تتوقف طويلا بعد الشيء أن أحقق أمنية السفر وترك مدينة قريبة ووقع اختياري على تيزي وزو فقد اخترتها مرتين» [1].

أعجب (القاتل) بالمدينة كثيرا حيث اعتبرها مهربا وملجأ لا يعرفه أحد وهذا ما بث فيه الراحة إذ يقول: « وفي كل مرة أزورها كنت أعجب بها كمدينة »[2].

وكان كلما شعر بالملل يتجول في الساحة يقول: « من الملل مرات كنت أغادر البيت أتجول في الساحة وأعبر بعض الأحياء الجانبية الصغيرة » [3].

فمدينة "تيزي وزو" بالإضافة إلى كونها مهربا ل(القاتل) ومنعرجا لتحول حياته ونقطة اللقاء التي جمعته ب(سميرة)، فمن جهة اختارهذه المدينة من أجل الاختلاء بنفسه والهرب من "العاصمة" لمحاولة البحث عن الذات، ومن جهة أخرى وجد فيها "الحب".

فهذه المدينة كانت الجسر الوحيد الذي ربط بينه وبين (سميرة)، فصورة "تيزي وزو" التي رسمها (مفتي) كانت الميلاد الذي يبعث على الراحة والهدوء والسكينة، أعجبته وأحدثت في نفسه نوع من الأريحية تلك التي كان يحققها بالقتل لاغير، فكان معجبا بها لأقصى الحدود وكان لها وقع خاص وذكريات جميلة في نفس (القاتل).

إن الحظور الإنساني للمكان يعتبر عاملا أساسيا في مقروئية النص، فالمكان يسعى لتكميل الجمالية والصورة الفنية للرواية وبراعة الانسجام الذي تخلقه الأماكن في الكتابات الروائية.

---

[1] الرواية، ص75

[2] الرواية، ص75

[3] الرواية، ص81

المطلب الثالث: وظائف الأمكنة في الرواية

1 ــ الوظيفة النفسية

إن الأمكنة التي أختارها المؤلف في رواية "اختلاط المواسم" لتكون المحرك الذي يشتغل عليه عمله الروائي مشحونة بدلالات كثيرة فكل مكان ذُكر يدل على معنى بالنسبة للشخصية وإن لم يهتم بذكر التفاصيل الدقيقة للأمكنة التي ذكرها، وهي ميزة تعمدها بجعل القارئ يكتشفها بنفسه، وهذا ما حقق للمكان البعد الجمالي في الرواية كونها بقيت أماكن شبه مجهولة بالنسبة للقارئ، إذ لا يعلم ما تفاصيلها ولماذا ذكرت بالضبط؟ ولماذا كانت ضمن اختيارات الراوي؟

فالمؤلف نفسه لم يقيد القارئ بمكان معين، و لم يتوقف كثيرا عند تحديد كل زاوية منه إذ أعطى القارئ بعض الأوصاف وترك له حرية تصور ذلك المكان، وحرية تأثيثه حسب ذوقه ومزاجه، إذ فتح له المجال تأويلاته الخاصة وأفق التوقع أو الانتظار الخاصة به.

فعلى سبيل المثال نذكر: "البيت" الذي يسكنه (القائل) فلم يقدم عنه مواصفات كثيرة بل اكتفى بالقول أنه كبير وواسع «بدا لي كبير وواسع» [1].

ما يفهم من خلال هذا المكان أن التفاصيل بخصوصه قليلة فهذا المكان الواسع الكبير لم يكن مصدرا للراحة والأمان، فلو كان مرتاحا حقيقة ببيته لوصف كل كبيرة وصغيرة وحتى الأشياء التافهة منها، لكنه كان على العكس من ذلك إذ قال: «مسكون بالوحشة والصمت» [2].

---

[1] الرواية، ص40

[2] الرواية، ص13

فالبيت كان كالسجن بالنسبة إليه بأبوابه وجدرانه، حتى وإن كان فخما، إلا أنه خال من ذلك الشعور المفعم بالإحتواء والأمان والحب، فهو في نظر ساكنيه كالسجن أو أضيق من ذلك، فالإنسان بطبيعته البشرية يفضل مكانا رحبا واسعا يتحرك فيه بكامل حريته.

فالمكان قد يشكل ثنائية ضدية، فمثلا يكون مصدر أمان واطمئنان ويمكن أن يكون مصدر ضيق وازعاج.

والمقصود بالوضيفة النفسية أن يتفاعل الإحساس والشعور بالمكان فيضفي أجواء خاصة عليه، وهذا الإحساس مرتبط بالحالة الشعورية للسارد بالمكان فالإنجذاب إلى مكان معين يعني أن هناك نوع من الشعور بالأمان والأريحية؛ أي قدرة التكيف معه، وهذه الأريحية نجدها تتحقق لدى القاتل في غرفة بيته إذ يقول: «كانت لي غرفتي الكبيرة المجهزة بكل ما أحتاج إليه» [1]. وهذا يعني أن غرفة (القاتل) كانت له مصدر راحة واستقرار وأمان لأنه حقق حريته فيها.

مدينة "تيزي وزو" أيضا كانت مكانا جاذبا لا طاردا لشخصية القاتل إذ كان معجبا بها فيقول:« ووقع إختياري على تيزي وزو، فلقد زرتها مرتين، و لم أقتل فيها شخصا واحدا، وفي كل مرة أزورها كنت أعجب بها كمدينة أشعر فيها أني غريب عن أهلها، ولا يربطني بهم أيّ رابط... وهذه الغربة، أو الغرابة كانت ممتعة لي أكثر مما تتصورون» [2].

لكن هذا الإحساس قد يأخذ منحى مغاير حين يكون مصدرا للآلام والأحزان، وهذا مايبث الإحساس بالضيق والقلق، وتتجلى هذه الأحاسيس في نفسية (القاتل) أثناء تواجده بالمدرسة، إذ أنها لم تكن

[1] الرواية، ص17

[2] الرواية، ص75

المكان الذي حقق رغبته بل جعلته شخصا غامضا محبا للوحدة يميل للصمت فيقول:«دخلت المدرسة كنت أشعر بعدم الرغبة في الحديث أو اللعب معهم»[1]، وفي موضع أخر يقول:«أميل إلى الصمت» [2].

فالمدرسة مكان أثر على شخصية (القاتل) ونفسيته فكانت طاردة إذ كان يشعر فيها بالضيق.

إضافة إلى البيت العائلي نجد أن تصويره في رواية "اختلاط المواسم" قد وصفه الراوي من خلال موقع (القاتل) فيه إذ يقول:«البقاء في البيت أطول وقت ممكن » [3]

إذ رصد جميع تفاصيل وجزيئات شخصية (القاتل) في بيته العائلي الذي كان مرفوضا بالنسبة له وتتمثل هذه الصفات أساسا في قوله:« لي طباع خاصة مثل الحب العزلة، وعدم الرغبة في المخالطة وحب الإكتشاف والقراءة والاعتماد على نفسي دون طلب مساعدة» [4]. ويقول أيضا:« لعلي كنت هكذا منذ الصغر بروح كثيفة السواد» [5].

كل هذه الصفات تجسدت في شخصية (القاتل) أثناء تواجده في بيت والديه والذي جعلته فريدا من نوعه إذ يقول:«وإن كنت في الصغر قد تفطنت لبعض الخصوصيات التي تميزني، وبعض المشاعر المضطربة التي تلم بي» [6]، وفي موضع آخر يقول: « كنت على استعداد للقتال حتى الموت» [7]، ويقول أيضا«كنت أعيش خارج الجماعة» [8].

---

[1] الرواية، ص14

[2] الرواية، ص15

[3] الرواية، ص17

[4] الرواية، ص18

[5] الرواية، ص13

[6] الرواية، ص14

[7] الرواية، ص16

[8] الرواية، ص16

وهذا يعني أن البيت مكان وُلد فيه الوحدة واليأس، إذ عبر من خلاله عن حالته النفسية المتأزمة ويكشف فيه عما يخزنه من أوجاع وأفكار فتنفتح ذاكرته ليفصح عما يوجد ما بداخله إذ يقول: « تركوني وحدي أعيش في بيت واسع... وبالرغم من إحساسي بالكثير من الألم الذي يشبه جسدا عاريا في غابة مليئة بالأشواك إلا أنني لم أدرف دمعة واحدة» [1]

وفي موضع آخر يصف بيت ولادته فيقول: « ولدت في بيت عجائز مسكون بالصمت والوحشة»[2] .

كل هذا ولد فيه لذة القتل والميول للوحدة والصمت دون مخالطة العالم الخارجي يقول:« صرت وحيدا إلا من نفسي» [3]، في موضع آخر يقول:« لايخيفني الموت، وإن مت الآن أو في أي وقت فهذا سيكون مريحا لي » [4]، ويقول أيضا: « الرغبة في أن أقتل وأشعر مع القتل باللذة الروحية والجسدية على حد سواء»[5].

وبهذا نجد السارد في هذه الرواية سرد تفاصيل البيت من خلال التركيز على الحالة النفسية للبطل والتي تفصح عن أهم الدلالات المتعلقة بالبيت في هذه الرواية فالبيت كان دوامة من الصمت والانقطاع على العالم الخارجي، وهذا ما ولد كل الاضطرابات والصفات النفسية التي كان يعاني منها (القاتل) منذ الطفولة والسالف ذكرها.

نجد أيضا أن الحالة النفسية لشخصية (القاتل) ترى المكان الواحد بأكثر من رؤية تبعا لتطور المزاج النفسي فتغير المكان وأجواءه له صلة كبيرة في التحكم في سلوك ونفسية الشخصية، ففي حديثه عن الغرفة

---

[1] الرواية، ص26

[2] الرواية، ص13

[3] الرواية، ص28

[4] الرواية،ص27

[5] الرواية، ص38

نجده يقول: ﴿ كانت لغرفتي المجهزة بكل ما أحتاج إليه ﴾ [1]. وفي موضع آخر يقول: ﴿ كنت أكره النوم في تلك الغرفة الجماعية الكبيرة ﴾ [2].

وبهذا فالمكان هو الذي يجسد إحساس الشخصية ويؤدي دورا بارزا في الكشف عن عالمها النفسي وسلوكها، زيادة على أن طبيعة المكان تحكم نفسية الشخصيات وممارستها وهذا ما يعبر عنه في رواية "اختلاط المواسم" عند هروب (القاتل) من "العاصمة" إلى "تيزي وزو" بغية الابتعاد عن الضيق التي كانت تسببه له العاصمة إذ يقول: ﴿ أحقق أمنية السفر وترك مدينة العاصمة إلى مدينة قريبة ﴾ [3].فوقع اختياره على مدينة "تيزي وزو" ذلك المكان الذي حقق له الأريحية ويتضح ذلك من خلال قوله: ﴿ وفي كل مرة أزورها أعجب بها كمدينة ﴾ [4].

فقد مثلت له هذه المدينة الجديدة المهرب بعد أن أُجبر على الإبتعاد عن العاصمة، خوفا من أن يكشف أمره من قبل المحقق(هارون) يقول:﴿ رغم ذكاء وحنكة ذلك المحقق (هارون) الذي جعلني أتوقف عن القتل فترة طويلة حتى لا ينكشف أمري ﴾ [5].

لكن حسب رأينا نجد أن هروبه ضعف في شخصيته لأنه غير قادر على مواجهة الموقف وتحمل النتائج.

---

[1] الرواية، ص 17

[2] الرواية، ص29

[3] الرواية، ص75

[4] الرواية، ص75

[5] الرواية، ص74

2 ــ الوظيفة الاجتماعية

يقدم المكان أبعاد إجتماعية كثيرة من خلالها تتضح علاقة الشخصية بالمجتمع الذي يعيش فيه ويكون ذلك باتخاذ المكان وسيلة تعبير أو تشخيص للواقع الإجتماعي للشخوص والمجتمع، والمجتمع هو منظومة من القيم والعادات والتقاليد التي تؤثر على سلوك الفرد وتوجيهه.

أي أن الفرد سيلقن ومنذ طفولته بكل ماهو سائد في المجتمع الذي ولد فيه، إذ أنه يؤثر فيه ويتأثر بما هو موجود فيه، ومن خلال رواية "اختلاط المواسم"تبدو علاقة (القاتل) علاقة متوترة ضدية مع المجتمع الذي يعيش فيه، وفي بدايتها يصور لنا المدرسة والتي تتضمن طائفة من الدلالات والمعاني التي تكشف عن موقف (القاتل) فالقاتل دائما يحاول تطبيق كل ماهو مغاير ومنافي للتقاليد يقول:« كنت أعيش خارج الجماعة» [1]، ويقول أيضا: «المهم أنها قوة جبارة لم تكن حتى نفسي تتحملها أحيانا، وكانت تفرض عليا الإبتعاد عن الآخرين وعدم مخالطة أحد» [2].

وبهذا نجد تعدد الأمكنة التي تواجد فيها (القاتل) سواء كانت "المدرسة" أو" البيت" أو "العاصمة" نجده يخرج عن قانون المجتمع ويرى عكس مايراه «لايحق لأيٍّ كان أن يتدخل في أموري الخاصة والعامة» [3]. فمثلا نجد جريمة القتل وحبه لها جعله يراها فعل لا يعاقب عليه القانون، ومايثير الإنتباه عند تحليل هذه الشخصية وعلاقتها بالمجتمع أن (القاتل) يرى في كل أفعاله أنه على صواب دائما يقول: «قتل البشر يعتبره البعض مخالف للطبيعة، لكن بما أن هناك منطق يجعل القتل طبيعيا من منظور عقائدي أو أمني أو وطني؛ فهذا يعني أن ليس فيه شيء يخالف الطبع البشري» [4].

---

[1] الرواية، ص16

[2] الرواية، ص17

[3] الرواية، ص28

[4] الرواية، ص38

لكن وبانتقاله من مكان إلى آخر نجد أن المكان هو الذي يحدد علاقته مع المجتمع، فمثلا عند انتقاله إلى "تيزي وزو" وتغييره للمجتمع العاصمي، نلمح فيه نوعا من صفات الإنسان العادي، حتى وإن كانت تصرفات ظاهرية فقط، فأصبح كالإنسان العادي يسير تحت إمرة المجتمع يقول: «لقد تصرفت دون شعور مني بشكل طبيعي وكأني إنسان يشبه باقي البشر» [1].

من خلال ما تقدم ذكره يتضح أن المكان هو الذي يتحكم في سلوك الشخصية، ولهذا يستحسن اختيار الأماكن المفتوحة العامة على المغلقة، حتى لا يسمح للآنا الأمارة بسوء السيطرة.

3 ــ الوظيفة الفلسفية

ساهم "المكان" في هذه الرواية في خلق المعنى الفلسفي، فقد حمل دلالات فكرية وأيديولوجية ووجودية وكان المكان الإطار الذي نظمت من خلاله أحداث الرواية، لتتعدد وظائفه ودلالاته وترتبط القضايا الفلسفية بالمكان من خلال جملة من القضايا والأفكار الفلسفية منها الحرية والجبر إذ تتجلى هذه القضية رواية "اختلاط المواسم" من خلال تلك الحرية التي يبحث عنها (القاتل) وذلك أثناء تواجده ببيت والديه، إذ لا يريد أن يكون مقيدا بأي سلطة، أو الخضوع لأي قانون طبيعي أو اجتماعي، إلا قانون الذات (الأنا) التي تفكر في أشياء خارج نطاق المعقول، ويرى حريته في تحقيقها، ويقول: «لم يعد هناك من يتحكم في أفكاري أو حركاتي»[2]، وقوله أيضا: « أنا حرٌّ» [3].

وفي نفس المكان نجده يطرح الكثير من الأسئلة الوجودية التي تعبر عن بعده الفلسفي يقول: « ما الحقيقة؟ ما الله؟ ما العدم؟ ما الحياة؟ ما الموت؟ ما البشر؟ ما الخير؟ ما أكثر الأسئلة وما أقل الأجوبة» [4].

---

[1] الرواية، ص75

[2] الرواية، ص28

[3] الرواية، ص28

[4] الرواية، ص11

فهمه الوحيد كان إيجاد جواب يجيب عما يدور في ذهنه كي ترتاح نفسيته المتوترة مستغربا من الحياة التي تتنكر بين الإيجابية والسلبية.

إلى جانب هذه القضية نجد قضية "الحب" و"الموت"، وهي ثنائية تحكمها علاقة جذلية، فالحياة الإنسانية ترتبط بهما، "فالحب" شكل من أشكال الحياة و"الموت" حقيقة تفرضها الطبيعة البشرية، وعلاقة الإنسان بهما علاقة قديمة جدا.

عدّت هذه الثنائية من الإشكالات الكبرى التي شغلت الفلاسفة والباحثين، منذ فجر التاريخ فكل تأويلاته المختلفة ووجهة نظره الخاصة.

ف"الموت" حدث حتمي لابد منه وهو نهاية كل كائن حي وليس له أي دواء إذا أتى ولا مفر منه، أما "الحب" فهو ظاهرة من مظاهر الحياة الشعورية، وقد شغلت هذه الحالة كبار الفلاسفة والكتاب.

تشير ثنائية " الحب" و"الموت" في رواية "اختلاط المواسم" إلى ديمومة الوجود وهما حدان متلازمان وإن اختلفت الأمكنة والربط بينهما في هذه الرواية هو النهاية المأساوية التي تربط بين "الحب" و"الموت"، من خلال المتواليات النصية الموجودة في الرواية.

أ ــ الموت:

يشكل الموت رافدا فلسفيا، تتشكل من خلاله أبعاد المكان في الرواية حيث أصبح يشكل أساسا في الكتابة الروائية ﴿ فكما الموت هو رديف للحياة فهو رديف للكتابة﴾ [1].

وعمد "مفتي" في روايته إلى توظيف ثنائية "الحب" و "الموت"، فالمكان في هذه الرواية ومن خلال الشخصيات التي تسكنه، عانت من ويلات "الحب" الذي أفضى ببعضهما إلى الإنتحار يقول: ﴿ ثم طلبت

[1] سامية غشير: دلالة الموت و رمزية في الخطاب الروائي الجزائري المعاصر، الحوار المتمدن www .ahewar.ar.org26/03/2018.

مني أخيرا أن ننتقل إلى الفصل الأخير من الحكاية أن تشرب السم، فأحضرت لها كوب الماء ووضعت فيه مايجعلها تغيب عن الحياة إلى الأبد...» [1].

الرواية مشبعة بفكرة الموت التي كانت حاضرة منذ البداية حيث أغلب شخصيات كان مصيرها "الموت" في المكان وقد افتتح الروائي، بمقولة ل"تشارلز بوكوفوسكي"(Charles Bwkavvsk):

« مبررة.

كل أشكال الموت مبررة

كل أشكال القتل

كل الموت

كل النفوق

ولا حتى عنق

دبابة» [2].

فحضور فكرة "الموت" كان مطلع الرواية، والمحور الرئيسي فيها، فشخصية (القاتل) كانت مهووسة بالقتل وارتكاب الجرائم على الرغم من انتقاله بين الأماكن، فهو لايخاف الموت ولا يهابه ويتجلى ذلك من خلال حوار دار مع والدته في "غرفة الصالون" وذلك بعد وفاة والده الذي لم يتاثر لفقدانه، فيجيب أمه بخشونة « لايخيفني الموت وإن مت الآن أو غدا ، أو في أي وقت؛ فهذا سيكون مريحا لي » [3].

---

[1] الرواية، ص243

[2] الرواية، ص7

[3] الرواية، ص27

لم تكن شخصية البطل عادية، فشخصية (القاتل) جاءت مسكونة بارتكاب الجرائم منذ الطفولة، والموت في هذه الرواية أخذ أشكال متعددة، بدءا بقتله قطة البيت يقول:« غير أني مرة وأنا أشاهد أمي تطردها خارج البيت حتى خرجت ورائها، لقد استفزتني بدوري وقررت قتلها» [1].

وكانت حصيلة الجرائم التي كان يرتكبها كبيرة جدا فحتى الفرقة التي كان منظم إليها "فرقة الموت" التي التحق بها في شهر مارس من سنة 1964، بمركز أمني في "بوزريعة" يقول: « من ذلك اليوم صرت ضمن فرقة خاصة تسمى "فرقة الموت"، فرقة المهمات الصعبة والقدرة والمستحيلة» [2].

ب ــ الحب:

تجسدت صورة "الحب" في الرواية من خلال الشخصيات المحورية كشخصية (القاتل) و (سميرة قطاش) و (صادق سعيد)و(فاروق طيبي)، ويتجلى من خلال رواية "اختلاط المواسم" في مدينة "تيزي وزو" أثناء التقاء (القاتل) في مكتبة هناك يقول: « وبقيت أتملى مشهد الكتب المعلقة في الرفوف... في تلك اللحظة دخلت امرأة في العقد الثالث بمعطف قطني أسود اللون » [3].

لينتهي الأمر بحب (القاتل) لها « فهي كالمشاعر التي لم أقبلها فيّ يوما وتدفقت في شعور غريب غير واضح قد يكون اسمه "الحب"» [4].

---

[1] الرواية، ص19

[2] ارواية، ص33

[3] ارواية، ص82

[4] الرواية، ص234

المبحث الثالث: المكان وعلاقته بالمكونات الروائية

المطلب الأول: علاقة المكان بالشخصية

تعمل الشخصيات على تجسيد أحداث العمل الروائي في المكان ويساعد ظهور الشخصيات ونمو الأحداث التي تساهم فيها على تشكيل البناء الفني في النص، فالمكان لا يتشكل إلا باختراق الأبطال له، كما أن الأحداث تتجدد في فضاء مكاني يكون منسجما مع مزاج وطباع شخصيته « فالمكان لا يظهر إلا من خلال وجهة نظر شخصية تعيش فيه وتخترقه وليس لديه إستقلال إزاء الشخص الذي يندرج فيه، وعلى مستوى السرد فإن المنظور الذي تتخده الشخصية هو الذي يحدد أبعاد الفضاء الروائي، ويرسم طوبوغرافيته، ويجعله يحقق دلالته المناسبة وتماسكه البيولوجي »[1].

الشخصية مهما انتقلت إلى أماكن متعددة فإنها تبقى مرتبطة بمكان محوري يعكس صفاتها ومشاعرها وتحركاتها، ويعين على تجسيد الأحداث فيها، مما يزيد من انسجام وتلاحم الشخصيات بالمكان في الرواية فهي عنصر أساسي من عناصر النص السردي، ومن خلالها تنتظم العناصر الأخرى.

وإن ما يؤكد ارتباط المكان الروائي بالشخصية هو طبيعة العلاقة بين الإنسان ومحيطه الذي يعيش فيه،والحديث عن موضوع المكان الروائي كما أسلفنا الإشارة في الجانب النظري يقترن بالحديث عن الشخصية التي تتحرك في إطاره كقوة فاعلة ومؤثرة، فهي تنهض بشتى الأفعال في المسار السردي للرواية.

وهذا مانلمسه في رواية "اختلاط المواسم" حيث نجد العديد من الشخصيات مرتبطة أيما ارتباط بالمكان الذي رسمه الراوي من خلال هذه الشخصيات.

---

[1] حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي ص23

إن تتباع حركة الشخصيات الروائية داخل الرواية قد يحي بصورة مباشرة بالمكان الذي تعيش فيه، ذلك أن المكان يسهم في تكوين إحساس الشخصية الروائية، وأن الشخصية الروائية لا يبرز دورها وتنقلاتها إلا من خلال مكان معين.

1ــ علاقة البطل (القاتل) بالبيت:

يمثل البيت بالنسبة للبطل مكانا ضيقا مرفوضا ومعاديا لأن إقامته فيه تبدو جبرية، لأنه ولد فيه الشعور بالإغتراب النفسي واليأس والضياع والوحدة، و لم يحقق راحته وحريته فيه على عكس ماتشبعه ذاكرة المكان الأليف من قيم إيجابية تتناغم مع إرادة الإنسان وأحلامه وتشبع رغباته ويشعره بالدفئ والأمان والأنس، فكان البيت العائلي بالنسبة لشخصية (القاتل) بمثابة السجن، كما سبب له وساوس أخرجته من حياته العادية الخاصة به إلى حياة الضيق القائمة على سلب الحقوق والحريات لأنه كان تحت سلطة والديه اللذين كانا يقمعانه، لأنه يأتي بأفعال يخالف فيها الطبيعة البشرية كقتله لقطة البيت يقول السارد: « حيث راحا يضيقان عليّ الحصار ويطرحان عليّ أسئلة كثيرة عندما أخرج »[1]، ويقول أيضا: « وهذا ماجعلني في لحظة من الزمن أكرههما بحق وأقلل من تواصلي معهما»[2].

أي أن الأوامر التي كان يتلقاها (القاتل) في بيته العائلي من قبل والديه، بثّ فيه الإحساس بالإختناق ماجعله يقدم على ارتكاب أفعال مشينة «غير أن ذلك البقاء في الغرفة وحدي كان يجعلني أفكر في أمور سيئة »[3]

---

[1] الرواية، ص20

[2] الرواية، ص 20ــ21

[3] الرواية، ص21

وقد حاول أن يتحمل وطأة الإختناق باللجوء إلى الوحدة والصمت، وكان يرى أن ذلك ما يقنع عوالمه الداخلية. فعلاقة (القاتل) بالبيت هي علاقة عكسية أحيانا، فكلما انغلق المكان اتسعت الذات وانفتحت على عوالمه والعكس.

ووفق هذا التصور تصبح علاقة (القاتل) بالبيت علاقة قائمة على التوتر والإحساس بعدم الإستقرار والإحباط أي أنها علاقة سلبية تظهر فيها صورة العنف وحب الذات ومحو الآخر، فأصبح البطل قاتلا محترفا، يقول: «بدأت سيرتي كقاتل محترف» [1].

2ـ علاقة البطل (القاتل) بالعاصمة:

تعد "العاصمة" مكانا مهما لتفعيل شخصية (القاتل) فكان لهذا المكان تاثير قوي في بناء شخصيته، هذه الشخصية المتلونة التي تتغير تبعا لتغير الأمكنة المتواجدة فيها، وبالتالي "فالجزائر العاصمة" في رواية "اختلاط المواسم" مكان ولد فيه (القاتل) تعتبر مكانا مدنيا وليس ريفيا، ومن الملاحظ أن (القاتل) يتخذ منها منطلق لتنفيذ رغبته في القتل وأداء مهامه العسكرية، يقول السارد: « أتمنى فقط يا سيدي أن تجد لي أشخاصا يستحقون أن أقتلهم بخنجري فهو ذلك الذي يثيرني أكثر» [2]، وفي موضع آخر يقول: « قتلت ما يقرب عشرة أشخاص كل واحد بطريقة مختلفة » [3].

[1] الرواية، ص35

[2] الرواية، ص67

[3] الرواية، ص69

كان هذا بعد انضمامه إلى فرقة تسمى "فرقة الموت" بطلب من الضابط (ع) « التقيت بالضابط الـــذي سأرمز لاسمه ب (ع) وهو رجل في العقد الخامس » [1]، ويقول أيضا: « أدخلني إلى مكتبه الصغير الـــذي كان يقع في دهليز الثكنة » [2].

وبهذا تبرز العلاقة بين شخصية (القاتل) والعاصمة من خلال احتكاكه بها، هذا الإحتكاك الذي ولد تـــأثيرا وتأثرا بينهما، وتجلى هذا التأثير من خلال إنجذاب شخصية (القاتل) لها، فأثرت هي الأخرى عليه ليصبح التأثير متبادل بينهما، فهي المكان الذي قضى فيه معظم أوقاته والمكان الذي عاش فيه طفولته وشبابه، فزرع فيه حب القتل وارتكاب الجرائم فكان مكانا مفتوحا ومقبولا بالنسبة له، لكن سرعان ما أصبح يحمل ثنائية ضدية فكان المكان الأرحب بالنسبة له كما سبق وذكرنا، لكن بمجيء المحقق (هارون) أصبحت علاقة (القاتل) بالعاصـــمة علاقة متوترة يقول السارد:«هذا ما ظننت بالفعل حتى ظهر المحقق ذكي ونبيه وينتبه إلى أبسط الأمور » [3] فلم يعد يشعر (القاتل) بالراحة والأمان، فقرر الإنتقال إلى مدينة أخرى ووقع اختياره على مدينة "تيزي وزو".

3ـــ علاقة البطل (القاتل) ب"تيزي وزو":

تمثل "تيزي وزو" فضاء مفتوحا ورحبا بالنسبة ل(لقاتل)، فكانت مؤهلا للكشف عن حالـــة اللاوعـــي لديه، وعن حياته النفسية والإجتماعية، وكانت الوجهة التي اختارها من أجل المكوث فيها فترة مؤقتة، حـــتى تستقر الأوضاع في "الجزائر العاصمة" هي وجهة أوقعت في نفسيته نوعا من الإعجاب والأريحية يقول السارد: « في كل مرة أزورها، كنت أعجب بها كمدينة » [4].

---

[1] الرواية، ص35

[2] الرواية، ص35

[3] الرواية، ص69

[4] الرواية، ص75

ويعد هذا المكان حلقة مهمة في صنع مشاهد وأحداث الرواية وتطورها، وأول ما قام به (القاتل) عند سفره إلى "تيزي وزو" أن استأجر في فيلا يقول السارد: « استأجرت فيلا صغيرة من طابق واحد مع حديقة صغيرة صاحبتها إمرأة تعيش في فرنسا » [1].

وكانت الفيلا فضاء لقراءة الروايات، وكان معجبا أشد الإعجاب بعوالم الروائيين، خاصة الذين يكتبون الروايات البوليسية، يقول: « قضيت أوقاتا مريحة مع كل ذلك العالم الورقي الذي أعدت اكتشافه من جديد في بيتي الجديد بتيزي وزو » [2].

وأثناء تواجد (القاتل) ب"تيزي وزو" يتأثر بهذا المكان إذ يسترجع سلوك الإنسان العادي حلو المعشر وهذا يعني أن هناك علاقة تأثير وتأثر بينه وبين "تيزي وزو" ، وهي علاقة إيجابية « لقد تصرفت دون شعور مني وبشكل طبيعي وكأني إنسان يشبه باقي البشر يستطيع أن يكون لطيفا وحلو المعشر » [3].

وما إن تمر فترة قصيرة حتى يتعرف في إحدى مكتبات "تيزي وزو" على إمرأة اسمها (سميرة قطاش) يقول: « سلمت علي بصوت خافت فرديت عليها التحية ثم سألتني إن كنت هنا منذ فترة طويلة فنفيت، فابتسمت من جديد وكأنها تعرفني من قبل » [4]، ويقول أيضا: « جلست على الكرسي الذي يقابلني مباشرة، ساعدني ذلك على تأملها جيدا » [5].

ليكون هذا اللقاء بداية لقصة حب بينهما.

---

[1] الرواية، ص75

[2] الرواية، ص 79

[3] الرواية، ص75

[4] الرواية، ص 82

[5] الرواية، ص82

ويمكن أن نوضح علاقة البطل ب"تيزي وزو" من خلال المخطط التالي:

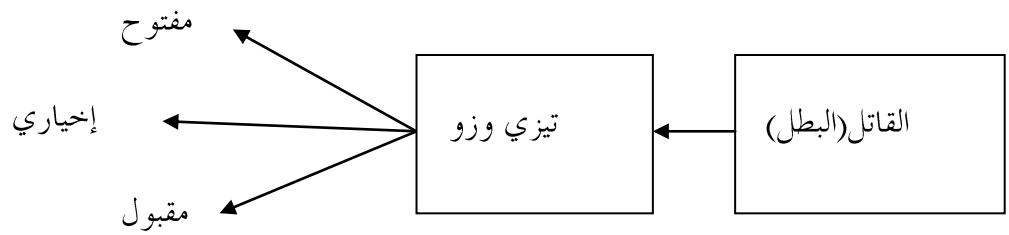

وبهذا تكون "تيزي وزو" هي فضاء لاستعادة الروح، الحياة، الأمل، الحب.

نجد أن الحضور الإنساني في المكان يعتبر عاملا أساسيا في مقروئية النص، فالمكان هو الصورة الفنية والجمالية للرواية من خلال علاقته بالشخصية.

المطلب الثاني: علاقة المكان بالزمن:

يكشف عنصرالمكان عن جمالية أدبية، إبداعية خاصة في ارتباطه بعنصر الزمان، حيث تتولد دلالات ومعاني جديدة وتتخلق بنية عميقة، تتولد من خلال قراءة أزمنة الرواية، إذ يعتبر الزمن من المحاور الأساسية في المبنى الحكائي، فهو من أهم العناصر المساهمة في بناء الرواية، حيث يعطي صورة واضحة للحياة في زمن معين ومحدد في الرواية، فالزمن مرتبط بأحداثها ومصاحب للمكان والأحداث وسير الشخصيات داخل المتن الروائي، كما سلف وذكرنا في الجانب النظري فلا يمكن الفصل بينهما وكل متمم ومكمل للآخر.

ويتجلى الزمن في رواية "اختلاط المواسم" بشكل واضح تماشيا مع الواقع الاجتماعي للوضع الجزائري، حيث وضفه السارد في طابع خيالي تخُيلي وهو الزمن المرجعي أي الزمن الذي خضع فيه الروائي لتأثيرات واقعية، اجتماعية، ثقافية... أسهمت بشكل كبير في بلورة تفكير السارد وفي بلورة الحدث، فنلاحظ من

خلال الرواية أنَ الراوي قد عايش الواقع الجزائري في فترة التسعينات «كنت في السنة الثانية من الجامعة عندما بدأت تحدث مواجهات مسلحة بين المسلحين المتدينين والجيش والشرطة والأمن»[1]

وهوما آلت إليه الأوضاع الاجتماعية الجزائرية إبان العشرية السوداء وهذا ما أثر في هيكلة وتشكيل بناء النص الروائي خاصة في عنصر المكان والزمان.

وقد أنتجت رواية "اختلاط المواسم" في فترة مابعد العشرية السوداء، وزمن وقع الأحداث المسرودة فيها هوزمن حدده الراوي منذ زمن مرحلة طفولة (القاتل) وهو في فضاء "المدرسة" حيث يقول: «كنت على استعداد للقتال حتى الموت رغم أني كنت في السن الحادية عشرة»[2].

وأيضا أثناء التحاقه بمركز أمني في "بوزريعة" وهنا يرتبط المكان بالزمان، فيحدد زمن التحاقه بقوله: « وهذا ماحدث بالفعل في شهر مارس من سنة 1994» [3].

فمن خلال هذا التاريخ سرد لنا الروائي موقف (القاتل) من هذه الأحداث، وبالخصوص بتركيزه على مكان واحد وهو "بوزريعة" بالضبط في "جبل الكاف" ب "الجزائر العاصمة" يقول: «أول مواجة كانت في جبل الكاف حيث سمعنا بتحرك جماعة الإرهابي (الشوكة) في حي قصديري» [4].

ففي رواية "اختلاط المواسم" نجد وصفا مطولا للمكان وهذا الوصف الدقيق يتضمن التركيز على الجزئيات وماتتصف به من أحوال إذ يتحدد الزمن الذي دارت فيه أحداث العشرية السوداء يقول السارد: « بدأت سيرتي كقاتل محترف في منتصف التسعينات » [5].

---

[1] الرواية، ص28.

[2] الرواية، ص16

[3] الرواية، ص30

[4] الرواية، ص30

[5] الرواية، ص35

هنا قد أضفى على هذا الحدث والزمن التاريخي لمسته التخييلية التي كانت في المكان والشخصيات وأحداث الرواية، خاصة في قضية القتل فالروائي بدأ من هذا الحدث ليكون نقطة إنطلاقة لأحداث الرواية وصراعاتها.

وتشتمل الرواية من خلال أحداثها على مفارقات زمنية، يبرزها الراوي من خلال سرد الأحداث وخروجه عن التسلسل المنطقي للأحداث وهذا بالعودة إلى الزمن السابق، أو توقع ما يحدث في المستقبل، ونجد في الرواية مفارقتان زمنيتان في المكان هما الاسترجاع والاستباق، أما الاسترجاع فيتجلى في عودة السارد بالزمن إلى الوراء لاستحضار أحداث ماضية واستذكارها أي العودة إلى الوراء وإدراجها ضمن الزمن الحالي للسرد، فرواية "اختلاط المواسم" قد شملت بشكل كبير على الاسترجاع الذي يعود به السارد ألى سنوات مضت.

يحدث هذا الاسترجاع في الرواية في فضاء البيت حينما عاد السارد إلى الوراء ليستحضر ماضي (القاتل) منذ طفولته يقول: «الطفولة ترسم في عقول البشر كمرحلة براءة، إلا أني منذ الطفولة رأيت نفسي بهذه القتامة ... و لم يكن يوجد في الطفولة من ينتبه لشيء كهذا» [1].

كما نجد (القاتل) يسترجع زمن أيام المدرسة الإبتدائية يقول: « وحتى عندما دخلت المدرسة كنت أشعر بعدم رغبة في الحديث أو اللعب معهم» [2]، وفي موضع آخر يقول: «كنت متفوق في الدراسة» [3].

[1] الرواية، ص13

[2] الرواية، ص14

[3] الرواية، ص15

وفي المقبرة يسترجع (القاتل) أيضا على لسان السارد ذكرى وفاة والده يقول: « توفي بعد إصابته بزكام خفيف في فصل الشتاء من عام 1992» [1]، في نفس المكان يسترجع ذكرى وفاةوالدته « وبعدها لم تمر إلا فترة قصيرة حتى لحقته والدتي» [2]، هنا يقوم باسترجاع ذكريات والديه اللذان وافتهما المنية.

يواصل السارد استرجاع ذكريات (القاتل) ففي الجامعة يسترجع مرحلة الشباب وكل الأحداث التي غمرتها يقول: «كنت في السنة الثانية من الجامعة، عندما بدأت تحدث مواجهات مسلحة بين المسلحين المتدينين والجيش والشرطة والأمن، كان الطلبة في الجامعة مرعوبين من فكرة إنفجار قنبلة داخل المعهد» [3].

ويظهر الاسترجاع أيضا من خلال انخراط (القاتل) في "فرقة الموت" وهذا بعد التقاءه بالضابط (ع) في "الجزائر العاصمة" يقول: «التقيت بالضابط الذي سأرمز لاسمه ب (ع) وهو رجل في العقد الخامس» [4].

كما يسترجع أيضا ذكريات التقاءه بالعاهرة "سمسم" بملهى ليلي ب "الجزائر العاصمة" يقول: «خرجت مع العاهرة التي تسمي نفسها سمسم» [5].

ونجد أيضا استرجاع (القاتل) لأيام مغادرته "الجزائر العاصمة" وانتقاله إلى مدينة "تيزي وزو" يقول: «كنت أفكر بما أ، مهمتي ستتوقف وقتا طويلا بعض الشيء أن أحقق أمنية السفر وترك مدينة العاصمة إلى مدينة قريبة» [6].

---

[1] الرواية، ص26

[2] الرواية، ص26

[3] الرواية، ص28

[4] الرواية، ص35

[5] الرواية، ص43

[6] الرواية، ص75

هذا الاسترجاع جعلنا نتعرف على حياة (القاتل) منذ مرحلة الطفولة إلى الشباب وأهم مامر عليه، كا هذا ساهم في ملئ الفجوة السردية وتهيئة الظروف الملائمة للإنتقال بحرية في السرد.

ومن مؤشرات الاسترجاع أيضا نجد الأفعال الماضية مثل (كان، ذهب، عاد ...) هـذه الأفعـال هـي مؤشرات لعملية الاستحضار.

أما الاستباق فيتجلى من خلال التطلع إلى ماهو محتمل حدوثه إذ يقول السارد بتوقع حـدث لم يقـع في زمن الحاضر، أي زمن الرواية لكن من المحتمل وقوعه إذ يقوم الراوي باستباق الأحداث التي وقعت للقاتل وهو في فضاء البيت يقول: «كي أصبح قاتلا فيما بعد» [1]، نجد أيضا الراوي قد استبق الشيء الـذي سـيحدث للقاتل لاحقا وذلك أثناء تواجده بمركز التدريب للقتال ب"الجزائر العاصمة" يقول: «متمنيا أن أتخرج وأذهب لقتال المجرمين» [2] .

وفي موضع آخر نجده قد استبق ما سيحصل من خلال تخمين (القاتل) يقول: «حتما سيسـألوني لمـاذا لم أخبر الجهاز فور ما أدركت أنه يخطط لشيء سيء لا يدخل في مصلحة الوطن » [3]، ويتجلى أيضا في قولـه: «أتمنى فقط يا سيدي أن تجد لي أشخاصا يستحقون أن أقتلهم بخنجري» [4].

هنا يقوم (القاتل) باستباق أحداث يتوقع حدوثها باعتماد التمني، وذلك من أجل تحقيق لذة القتل، وهناك استباق آخر يتجلى من نص الرواية يتمثل في قوله: «سأصبر وأنتظر المهمة الثانية وربما الثالثة هي التي ستعرفني بدوري جيدا» [5].

فزمن الاستباق له مؤشراته الدّالة عليه، ومن مؤشراته في الرواية نجد (حين، أشعر، سيحدث...).

---

[1] الرواية، ص19

[2] الرواية، ص30

[3] الرواية، ص64

[4] الرواية، ص67

[5] الرواية، ص66

المفارقة الزمنية لكل من الاسترجاع والاستباق، ساهم في خدمة الرواية بشكل كبير وأضفيا عليها طابعها الخاص، حيث أن الاسترجاع ساهم في تقديم معلومات حول الشخصيات وخاصة الشخصية البطلة، ليضيء جزء من ماضيها للقارئ، من أجل الفهم ولولا الاسترجاع لكانت الأحداث غامضة ومبهمة وغير واضحة، أما الاستباق فقد ساهم في توضيح للقارئ ماسيحدث للشخصيات مستقبلا.

خاتمة

خاتمة

في ختام البحث يمكن القول أن: رواية "اختاط المواسم أو وليمة القتل الكبرى" انبنت على استراتيجية سردية معقدة وقد سعينا إلى الإلمام بهذه الاستراتيجية والوقوف على مرتكزاتها الأساسية بنقطة النهاية في البحث خاصة عند معالجة نص أدبي، لذلك من غير المعقول الجزم بالوصول إلى نتائج حتمية نهائية فلا لربما تكون هذه النتائج التي توصلنا إليها فاتحة لجملة من تساؤلات أخرى، لأن قراءة النص وفهمه تختلف من قارئ إلى آخر وهذا مايجعله حيا مستمرا.

وقد قادنا منهج الدراسة إلى تفكيك البنية الداخلية المشكلة للخطاب السردي في رواية "اختلاط المواسم" بغرض الكشف عن المواطن الفنية والجمالية فيها، يمكن استخلاصه كحصيلة عامة حول بنية المكان في هذه الرواية، ومن أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال دراستنا لهذا الموضوع نذكر مايلي:

ـــ إن الرواية شكل من الأشكال الأدبية المهمة في الساحة الأدبية، فقد استطاعت الرواية العربية عامة والجزائرية خاصة، في أقل من قرن أن تحدث صدى واسعا إلى جانب الأجناس الأدبية الأخرى كالشعر والمسرح...

ـــ الرواية هي الحاضنة للعناصر السردية وخاصة عنصر "المكان" الذي وجد مجالا أوسع للتجلي بفضل هذا الفن السردي.

ـــ إن للمكان أهمية كبيرة في بناء الرواية لأنه الركيزة الأساسية في العمل الروائي.

ـــ يرتبط المكان بالزمان والشخصية ارتباطا وثيقا لا يمكن الفصل بينه وبينهما.

ـــ المكان في رواية "اختلاط المواسم" عنصر ضروري وحيوي تحقق التلاحم والانسجام مع باقي العناصر وليس مجرد ديكور للأحداث.

ـــ تعددت أنواع المكان في رواية "اختلاط المواسم"حيث توزعت إلى ثنائيات ضدية كبرى فجاءت هذه الرواية متنوعة الفضاءات وموزعة الدلالات، وتظهر مرة مفتوحة ومرة أخرى مغلقة، وكان لهذه الأمكنة وجودها الحي من خلال الأثر الكبير على نفسية الشخوص، حيث تنوعت هذه الحالات النفسية بين الخوف والتوتر والوحدة والضيق، وفي بعض الأحيان تأتي باهتة الإحساس بالراحة.

ـــ تمتاز العناصر الجزئية لهذه الرواية لتنتج نسيجا سرديا خاصا، يميزها عن غيرها من الأعمال الروائية، بحيث عرض الكاتب على إشراك القارئ في عملية البناء السردي باعتبار القارئ الطرف الذي يضمن تفكيك العمل الإبداعي ما يجعله يصل إلى عمقه والكشف عن جماليته.

ـــ تميزت الرواية بتنوع وتعدد الأصوات الساردة، إذ جعل "مفتي" شخصياته تطرح أراءها ومشاكلها وتعبر عن وجهات نظرها بكل أريحية، لذلك كان بناء الشخصية متميزا باكتمالها الدلالي التدريجي، فالشخصية الروائية تشكل علامات جزئية تتراكم عبر صفحات النص وتتنامى ملامحها عبر الفصول الأربعة للرواية.

ـــ كما تشكل الشخصية في الرواية صورة إجتماعية للواقع الجزائري في فترة التسعينات، وظف فيها "مفتي" الشخصية الاجتماعية ليعبر عن صورة المثقف الحالي في مجتمع لا يعترف بالحريات الفردية التعبيرية، الفكرية والسياسية، ثم صورة المرأة المحصورة بينما يعرضه الواقع الإجتماعي وبين ما تخلقه من قيم ومبادئ تؤمن بها، كما طبق تقنية الشخصيات الحروف والشخصيات المجازية وهي خاصية حكائية تطرق بها الروائي بعض الطابوهات الخطيرة كالواقع السياسي في تلك الفترة.

ـــ تطرح الرواية اشكاليات جوهرية في حياة الإنسان فلسفية حول مسائل الحرية، المسؤولية، الحب، المـــوت، التحرر، الإيمان.

ـــ تضع الرواية أفاقا لتساؤلات ونقاشات تخص أفكار يمكن أن تكون منطلق لدراسات جديدة، فالبداية كانت غامضة والنهاية غير متوقعة، فتركيبتها تفتح المجال لتساؤلات لامتناهية.

ـــ تمثل رواية "اختلاط المواسم أو وليمة القتل الكبرى" أنموذجا للرواية الجزائرية المعاصرة من حيث البناء الفني والتـــركيبي والـــدلالي تجـــاوزت بـــذلك جـــل التقنيـــات التقليديـــة في الكتابـــة الروائيـــة.

الملحق:

التعريف بالروائي "بشير مفتي":

كاتب روائي وصحفي جزائري ولد عام 1969م بالجزائر العاصمة، متخرج من كليـــة اللغـــة والأدب العربي بجامعة الجزائر،« عمل في الصحافة حيث كتب في نهاية ثمانينات القرن العشرين في جريـــدة (الحـــدث الجزائرية) كما أشرف على ملحق الأثر لجريدة (جزائر نيو) لمدة ثلاث سنوات، كما عمل بالتلفزيون الجزائري مشرفا على حصص ثقافية كحصة (مقامات)، إلى جانب هذا عمل مراسلا من الجزائر لجريدة (الحياة اللندنية) وكاتب مقال بالملحق الثقافي لجريدة (النهار اللبنانية)، و (بالشرق) الجزائرية، وهـــو أحـــد المشـــرفين علـــى منشورات (الإختلاف) بالجزائر» [1]

له مجموعة قصصية تتضمن ثلاث قصص هي:

ـــ" أمطار الليل" 1992 الجزائر.

ـــ "الظل والغياب" منشورات الجاحظية 1995 الجزائر.

ـــ "شتاء لكل الأزمنة" منشورات الأختلاف 2004 .

وفيما يخص أعماله الروائية المنشورة هي عشرة روايات:

ـــ "المراسيم والجنائز" 1998 الجزائر.

ـــ " أرخبيل الذباب" منشورات البرزخ" 2000 الجزائر.

[1] محمد معتصم: مجلة النصر2014م، الأربعاء 19/مارس/ 2014، Htt . www . annasromieme . com11:00

ـــ "شاهد العتمة" منشورات البرزخ 2002 الجزائر.

ـــ "بخور السراب" منشورات الإختلاف 2004 الجزائر. ثم منشورات الحوار، 2005، سوريا.

ـــ "أشجار القيامة" طبعة مشتركة، منشورات الإختلاف الدار العربية للعلوم 2006.

ـــ "خرائط لشهوة الليل" طبعة مشتركة الإختلاف والدار العربية للعلوم 2008.

ـــ "دمية النار" طبعة مشتركة منشورات الإختلاف والدار العربية للعلوم 2010، وصلت إلى القائمة القصيرة لجائزة البوكر الأدبية دورة 2012.

ـــ" أشباح المدينة المقتولة" الطبعة المشتركة منشورات الإختلاف، منشورات ضفاف 2012.

ـــ "غرفة الذكريات" طبعة مشتركة منشورات الإختلاف ومنشورات الضفاف 2014، "لعبة السعادة" طبعة مشتركة منشورات الإختلاف ومنشورات ضفاف 2016.

وفيما يخص الروايات المترجمة للفرنسية نجد له ثلاثة روايات:

ـــ "المراسيم والجنائز" cèrèmonies et funèrailles) ترجمة مرزاق قيتارة منشورات الإختلاف2002.

ـــ "شاهد العتمة" (Le Tèmoin des Tènèbres)ترجمة نجاة خلاف منشورات عدن باريس 2002.

ـــ "أرخبيل الذباب" (L' Archipel des mouches) ترجمة ورد حموش منشورات لوب فرنسا Editioun L'aube et Barzakh2003

أما فيما يخص الأعمال السردية التي شارك فيها مع روائيين آخرين:

ـــ "الجزائر معبر الضوء": كتاب جماعي بثلاث لغات عربي، فرنسي، إنجليزي عن الجزائر العاصمة منشـــورات البرزخ .

ـــ "القارئ المثالي": كتاب جماعي منشورات ميث سان نازار فرنسا.

كما نشر مجموعة مقالات نقدية بعنوان "سيرة طائر الليل" طبعة مشتركة منشورات الإختلاف منشـــورات ضفاف 2013م.

وآخر أعماله الروائية تتمثل في رواية "اختلاط المواسم" الصادرة سنة 2019م منشورات الإختلاف.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية حفص

المصادر:

1 ــ بشير مفتي: اختلاط المواسم أو وليمةالقتل الكبرى، منشورات ضفاف، منشورات الاختلاف، بيروت، لبنان، ط1، 2019م.

المعاجم:

1 ــ إبراهيم مصطفى وآخرون:معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مصر، ط4، 2005م

بطرس البستاني: محيط المحيط، مكتبة لبنان، دط، 1987م

2 ــ جمال الدين الفضل ابن منظور: لسان العرب، ج2، دار صادر، بيروت، لبنان، دط، 1863م

3 ــ الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، دار السلام وآخرون، البناء، ط1، 2004م

4 ــ لطيف زيتوني: معجم مصطلحات نقد الرواية (عربي، إنجليزي، فرنسي)

المراجع العربية:

1 ــ إبراهيم عباس: تقنيات البنية السردية في الرواية المغاربية، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر، دط، دس

2 ــ أحمد حفيظة: بنية الخطاب في الرواية النسائية الفلسطينية (دراسة نقدية)، مركز بوقاريت الثقافي، فلسطين، ط1، 2006م

3 ــ إدريس بودیبة: الرؤيا وابنية في رواية الطاهر وطار، سحب الطابعة الشعبية للجيش، الجزائر، دط، 2007م/1428هـ

4 ــ أديت كروزيل: عصر البنيوية، تر: جابر عصفور، دار سعاد الصباح، ط1، 1993م.

5 ــ آمنة بلعلى: المتخيل في الرواية الجزائرية (من المتماثل إلى المختلف)، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، دط، 2006م/1427هـ

6 ــ باديس فوغالي: دراسات في القصة والرواية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن ط1، 2008م

7 ــ جهان عوض أبو العمرين: جماليات المكان في شعر تميم البرغوتي، دار الأيام للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2015م

8 ــ حبيب مونسي: فلسفة المكان في الشعر العربي (قراءة موضوعاتية جمالية)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 2011م

9 ــ حس بحراوي: بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 1990م

10 ــ حسن المناصرة: مقاربات في السرد (الرواية والقصة في السعودية)، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط1، 2012م

11 ــ حسن نجمي: شعرية الفضاء (المتخيل في الرواية العربية)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2000م

12 ــ حميد لحميداني: الرواية المغربية ورؤية الواقع الإجتماعي، دار الثقافة المغرب، ط1، 1985م

13 ــ سمير روحي الفيصل: الرواية العربية، البناء والرواية مقاربات نقدية مستويات إتحاد الكتاب العرب دمشق، 2003م

14 ــ سيزا قاسم: بناء الرواية (دراسة مفارنة في ثلاثية نجيب محفوظ)، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، ط1، 1984م

15 ــ شريف حبيلة: الرواية والعنف، جدار الكتاب العالمي للنشر والتوزيع، دط، 2010م

16 ــ صالح ولعة: المكان ودلالته في الرواية "مدن الملح" ل عبد الرحمان منيف، عالم الكتب الحديث، إربد، ط1، 2010م

17 ــ صلاح فضل: النظرية البنائية في النقد الأدبي، مكتبة الأنجلو مصرية، ط2، دس

18 ــ عبد الصمد زايد: المكان في الرواية العربية (الصورة والدلالة)، دار محمد علي للنشر، تونس، ط1، 2003م

19 ــ عبد العزيز حمودة: المرايا المحدة (من البنيوية إلى التفكيك)، أحمد مشاري العدواني، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، دط، 1978م

20 ــ عبد الله الغدامي: الخطيئة والكفير من البنيوية إلى التشريحية (قراءة نقدية لنموذج معاصر)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، ط2، 1998م

21 ــ عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، دط، 1998م

22 ــ علال سنقوقة: المتخيل والسلطة، منشورات الإختلاف، الجزائر، ط1، 2000م

23 ــ عمر بن قينة: في الأدب الجزائري الحديث، (تاريخا، وأنواعا، وقضايا، وأعلام)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 2009م/1430هـ

24 ــ عمر عاشور: البنية السردية عند الطيب صالح (البنية الزمانية والمكانية في موسم الهجرة إلى الشمال)، دار هوما للطباعة والنشر، الجزائر، دط، 2010م

25 ــ غاستون باشلار: جماليات المكان، تر: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1984م.

26 ــ محمد الخطيب: الرواية والواقع، دار الحداثة، بيروت، ط1، 1981م

27 ــ محمد بنيس: الشعر العربي الحديث بنياته وإبدالاته ج3، دار توبقال الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1990م

28 ــ محمد عزام: شعرية الخطاب السردي، من منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط، 2005م

29 ــ محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، دار النهضة المصرية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دط، 1997م

30 ــ محمد مرتاض: السرديات في الأدب العربي المعاصر، دار هوما للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 2014م

31 ــ محمد مفتاح: دينامية النص (تنظير وإنجاز)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 1990م

32 ــ نبيل بوالسيلو: بنية الزمن القصصي لدى مرزاق بقطاش، دار أمواج لنشر، ط1، سكيكدة، 2004م

33 ــ وسيني الأعرج: إتجاهات الرواية العربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، 1986م/1407هـ

34 ــ ياسين النصير: الرواية والمكان (دراسة المكان الروائي)، دار تينوي، دمشق، سوريا، ط2، 2010م

المراجم المترجمة:

1 ــ جيرالد برنس: قاموس السرديات، تر: السيد إمام، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، ط1، 2003م.

2 ــ نقلة حسن أحمد العزي: تقنيات السرد وآليات تشكيله الفني، دار غذاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2011م

المجلات:

1 ــ أوريدة عبود: المكان في القصة القصيرة الجزائرية الثورية (دراسة بنيوية نفوس ثائرة)، دار أمل للطباعة، الجزائر، دط، دت.

2 ــ سامية غشير: دلالة الموت و رمزية في الخطاب الروائي الجزائري المعاصر، الحوار المتمدن www .ahewar.ar.org26/03/2018.

3 ــ محمد معتصم: مجلة النصر 2014، الأربعاء 19/ مارس/2014 ،11:00

Htt . www . annasromieme . com

المداخلات:

1 ــ محمد عزالدين النازي: الرواية والفضاء الروائي، مداخلة مقدمة لندوة الرواية العربية، رابطة أدباء الجنوب، أغادير، 20 ماي 2001م.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات:

مقدمة .....أ ــ ج

مدخل:.....5 ــ 10

1ــ ماهية الرواية.....5 ــ 7

2ــ نشأة الرواية الجزائرية.....7 ــ 11

3ــ مصطلح المكان بين الحيز والفضاء.....11 ــ 13

الفصل الأول:بناء المكان الروائي.....14 ــ42

المبحث الأول: قراءة في المفاهيم.....15 ــ 23

المطلب الأول: مفهوم البنية.....15 ــ 18

أــ لغة.....15 ــ 16

ب ــ اصطلاحا.....16 ــ 18

المطلب الثاني: مفهوم المكان.....19 ــ 23

أــ لغة.....19 ــ 20

ب ــ اصطلاحا.....20ــ 23

المبحث الثاني: أهمية وأنواع المكان.....24 ــ 32

المطلب الأول: أهمية المكان.....24ـ 27

المطلب الثاني: أنواع الأمكنة.....27 ـ 32

1ـ المكان المفتوح.....28

2ـ المكان المغلق.....28 ـ 29

3ـ المكان الجغرافي.....29

4ـ المكان الدلالي.....30 ـ 32

المبحث الثالث: حضور المكان في الفن الروائي.....33ـ 42

المطلب الأول: دلالات المكان.....33 ـ 36

1ـ الدلالة البشرية.....33ـ 34

2ـ الدلالة الدينية.....34

3ـ الدلالة التاريخية.....35

4ـ الدلالة الجغرافية.....36

المطلب الثاني: علاقة المكان بالمكونات السردية.....36 ـ 42

1ـ علاقة المكان بالشخصيات.....37 ـ39

2ـ علاقة المكان بالزمن.....39 ـ 42

الفصل الثاني: تجليات المكان ودلالته.....43 ــ 80

المبحث الأول: حول الرواية.....44 ــ 47

المطلب الأول: التعريف بالرواية.....44 ــ 46

المطلب الثاني: ملخص الرواية.....46 ــ 47

المبحث الثاني: دراسة أنواع ووظائف الأمكنة في الرواية..... 48 ــ 69

المطلب الأول: أنواع الأمكنة.....48 ــ 59

1ــ الأماكن المغلقة.....49 ــ 55

2ــ الأماكن المفتوحة.....55 ــ 59

المطلب الثاني: وظائف الأمكنة.....60 ــ 69

1ــ الوظيفة النفسية.....60 ــ 64

2ــ الوظيفة الاجتماعية.....65 ــ 66

3ــ الوظيفة الفلسفية.....66 ــ 69

المبحث الثالث: المكان وعلاقته بالمكونات الروائية.....70 ــ 80

المطلب الأول: علاقة المكان بالشخصية.....70 ــ 75

المطلب الثاني: علاقة المكان بالزمن.....75 ــ 80

خاتمة.....81 ــ 84

الملحق: التعريف ببشير مفتي..... 85 ــ 88

قائمة المصادر والمراجع..... 89 ــ 95

فهرس الموضوعات

ملخص

ملخص:

رواية "اختلاط المواسم أو وليمة القتل الكبرى" ل "بشير مفتي" من خلال عنوانها الفرعي يمكن للقارئ أن يحرز موضوعها، هي رواية جديدة قمنا باختيارها كونها لم تحظ بعد بدراسات نقدية ولقد تناولنا في موضوع بحثنا الموسوم ب "بنية المكان في رواية اختلاط المواسم"، يهدف إلى تفكيك بنية المكان في هذه الرواية.

وصلنا في الأخير إلى أن الرواية تطرح بشدة فكرة صراع الأيديولوجيات والأفكار في المجتمع الجزائري، وترسم صورة واضحة المعالم عن خصوصيات المكان عند الروائي "بشير مفتي".

وقد قسمنا بحثنا إلى مقدمة ومدخل وفصلين، فصل نظري وآخر تطبيقي، ثم خاتمة اشتملت على أهم النتائج التي توصلنا إليها معتمدين على جملة من المرتجع المساعدة.

الكلمات المفتاحية:رواية اختلاط المواسم،ا بنية، المكان، السرد، الأسلوب البوليفوني.

Abstract :

The novel "the mixing of the seasons or the Great death Feast" of Bashir Mufti through its sub-title the reader can achieve its subject, is a new novel we have chosen because it has not yet received critical studies and we have discussed in our research, entitled "the building of the place in the novel of the mixture of seasons". The aim is to dismantle the structure of the place in this novel.

Finally, we found that the novel strongly presents the idea of the struggle of ideologies and ideas in Algerian society, and draws a clear picture of the peculiarities of the place at the novelist "Bashir Mufti".

We divided our research into an introduction, an entrance and two sections, a theoretical and a practical chapter, and a conclusion that included the most important findings based on a range of helpful returns.

Key words: The novel mixing of seasons, a structure, place, narrative, Bolivarian style.